

الملك

مجلة

المجلد العسرون
الجزء الرابع والخامس



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

أَوْفَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلُو الْأَبْيَارِ
بِوَفَى الْحِكْمَةِ مِنْ بَشَاءٍ وَمَنْ يُوْنِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ

الملك
١٣١٥

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ أَوْلَئِكَ هُمْ أَوَّلُو الْأَبْيَارِ
فَقَدْ عَادَى الَّذِينَ يَسْتَمُونُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

﴿ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِنَّ لِلْإِسْلَامِ عَمُودَ وَ «مَنَارًا» كَثَارَ الطَّرِيقِ ﴾

٢٩ المحرم ١٣٣٦ — ٢٢ المقرب (٢ خ) ١٢٩٦ هـ ش ١٥ نوفمبر ١٩١٧

فَتَحْنَا فِي الْمَلَبَاتِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسهل الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ حكم تارك الصلاة ﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فأرجوكم تعريفا على صفحات النار
الأغر عن حكم تارك الصلاة بغير عذر في نظر الشرع وهل الاحاديث التي وردت
بخصوص ترك الصلاة تؤخذ على ظاهرها أو فيها ما يحتمل التأويل كما يقال ؟ اماما
أعلم من الاحاديث الواردة في تارك الصلاة أو المتخلف عنها فهو الموضح بعد فان
كان هناك أخرى أرجو التفصيل بإيضاحها في الاجابة . قال صلى الله عليه وسلم : —
١ « بين العبد والكفر — وفي رواية الشرك — ترك الصلاة فاذا تركها فقد
أشرك . وحوضي كابين أيلة الى مكة أباريقه كمدد نجوم السماء له ميزابان من الجنة
كلما نضب أمداه ، من شرب منه شربة لم يظما بعدها أبدا وسيرده أقوام ذابله
شفاهم فلا يطعمون منه قطرة واحدة من كذب به اليوم لم يصب منه الشراب يومئذ »
٢ « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » (يريد طبعا العهد
الذي بيننا وبين الكفار)

٣ « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »

٤ « الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »

« والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدكم أنه يجب عرقاسمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء » فأرجو بهد النظر في هذه الأحاديث التكرم بتفهيمننا درجة صحتها وعما اذا

كان في ظاهرها شيء، يحتمل التأويل خصوصاً في لفظة الكفر أو الشرك

هذا والسبب الذي أجبني إلى عرض سؤالي هذا على فضيلتكم هو ذلك التهاون الغريب في أمر الصلاة بين من يسمون أنفسهم مسلمين الآن وظنهم أن تاركها لا يخرج عن كونه عاصياً بسيطاً مثل باقي العصاة مفتوحة له أبواب التوبة في أي وقت شاء فيه الصلاة وذلك بالرغم مما ورد في أمرها في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة من التشديد والوعيد . لذلك أرجو أن تكون الإجابة مفصلة الشرح لعلها تكون فصل الخطاب فيما عليه شباننا المسلمون المتفرنجون من الحيرة في حكم تارك الصلاة بغير عذر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الداعي

علي مهيب

بتفتيش عموم التفارقات

(ج) يجرد السائل في المجلد الثامن عشر من المنار ما يغنيه عن تفصيل القول في هذه المسألة وهو رسالة للشيخ محمد أبي زيد من طلبة دار الدعوة والارشاد اسما (البرهان على خروج تارك الصلاة وما منع الزكاة من الإيمان) نشرت في ص ٥٠٥ و ٥٦٢ و ٥٨٦ وما بعدها أورد فيها كثيراً من الآيات التي استدل به على كفر من ذكر وبعض الأحاديث المؤيدة لدلائلها على ذلك ، وذ كرنا فيما علقناه في حواشينا وما ذيلناها خلاف العلماء في المسألة والجمع بين الأقوال . وإن أدري أيريد السائل الآن أن أتوسع في شرح المسألة واستيفاء ماورد فيها من النصوص لزيادة الإيضاح وتكرار تذكير التاركين لهذه الفريضة التي هي عماد الاسلام ؟ أم لم يقرأ تلك الرسالة وما علقناه عليها ؟ وقد يستدل بما أوردته من الأحاديث وسؤاله عن غيرها انه لم يقرأ الرسالة ، على أنه من أشد قراء المنار عناية بهذه المسائل كما نظن ، فنحنه أولاً على مراجعتها وقراءتها ونرشدته إلى كتابين جليلين في المسألة أحدهما

(كتاب الصلاة) لامام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، (وكتاب الصلاة وأحكام تاركها) لناصر السنة ابن القيم رحمه تعالى ، والكتابان مطبوعان معا .
فاذا أشكل عليه بعد الاطلاع على ما ذكر أمر فليسأل عنه

أما الحديث الاول مما أورده في السؤال فصدره الخاص بالصلاة في صحيح مسلم وأكثر كتب الستين والثاني رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي والنسائي والثالث والرابع والخامس في الصحيحين وغيرهما الا الثالث فقد رواه البخاري دون مسلم ، ومما قيل في السادس انه في تهديد جماعة من المناقبين وأنه في صلاة الجمعة خاصة أو الجماعة مطلقا فالاحاديث التي أوردها في الموضوع كلها صحيحة . وقد ورد في معناها أحاديث أخرى

وانني أذكر كلمة وجيزة في المسألة تفيد السائل فضل فائدة في المسألة وان كان يمكنه مراجعة المجلد الثامن عشر من المنار ولاكتفاء بما فيه لانه من قدماء المشتركين الذين يحفظون المنار ، وقد تكون ضرورة للذين اشتركوا في المجلد التاسع عشر والمجلد العشرين ومن يتعذر عليه مراجعة ما أحلنا السائل على مراجعته :

ان الكفر والظلم والفسق وما اشتق منها قد استعملت في لغة الكتاب والسنة استعمالاً أعم وأوسع من الاستعمال الاصطلاحي الذي جرى عليه المتكلمون والفقهاء .
فهؤلاء قد جعلوا الكفر مقابلاً للإيمان والاسلام فالمسلم الصحيح الإيمان قد يكون عندهم فاسقاً وظالماً ويطلق عليه هذان اللقبان ولكن لا يطلق عليه لقب كافر . وفي لغة الكتاب والسنة تطلق هذه الالفاظ على ما يقابل الإيمان والاسلام وعلى بعض كبائر المعاصي التي اختلف أئمة الفقهاء والمتكلمين في كفر مرتكبها بمعنى خروجه من ملة الاسلام كالصلاة وكذا على ما أجمعوا على انه غير كفر بهذا المعنى كالنياحة على الميت . ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » وأهل الاثر يتبعون النصوص في ذلك ويقولون بكفر كل من أسند اليه الكفر أو وصف به في الكتاب والسنة وما كل كفر عندهم خروج من الملة ، بل هنالك كفر دون كفر ، وهم ثلثة من الاوabin وقليل من الآخرين . وأهل المذاهب يتبعون مذاهبهم في كل مسألة فيفترقون بين النصوص

[المنار: ج ٤ م ٢٠] تأويل كفر تارك الصلاة ومعنى استحلاله ١٩١

يؤولون بعضها ويأخذون ببعض اتباعاً لمن قلدرهم لا للنصوص
والتحقيق الجامع بين النصوص ان من كان مؤمناً صحيح الإيمان مسلماً صادق
الإسلام لا يخرج من ملة الإسلام تركه لصلاة كسلاً أو ارتكابه لكثرة من المنهيات
بجهلة يتوب منها ولكن الإيمان الصحيح هو إيمان الأذعان والخضوع الفعلي لأوامر الله
ونواهيه الذي به يكون المؤمن مسلماً . وقد يكون المرء مؤمناً غير مذعن كابليس ومن
قال الله تعالى فيهم من أئمة الكفر (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) ومن
قال فيهم (فاتهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وغير هؤلاء ،
وهل يعقل أحد ينصف من نفسه ان يكون من أولئك المؤمنين المذنعين من يترك
عماد الدين وأعظم أركان الإسلام بغير مبالاة ويصر على ذلك غير مكترث للآيات
والاحاديث الكثيرة في الأمر بها والترغيب فيها والبيان لفوائدها ومكانتها العليا من
الدين والترهيب والزجر عن تركها والوعيد الشديد عليه وتسميته كفراً في أحاديث
صحيحة ظاهرها ان المراد به كفر الاعتقاد لا كفر النعمة أو كفر العمل كما قيل ؟
ومن قال بكفر تارك الصلاة من أئمة السلف إمام الأئمة علي كرم الله وجهه
وقد أول الجمهور الاحاديث الواردة في ذلك بما أشرنا الى بعضه آنفاً وحملها
بعضهم على الاستحلال ولا خلاف في كفر من استحل حراماً مجمعاً على تحريمه معلوماً
من الدين بالضرورة كترك الصلاة والزكاة من الفرائض وكفعل الزنا وشرب الخمر
من المحظورات . واستحلال الشيء هو عده حلالاً كما قال ابن منظور في لسان العرب .
فاذا كان المراد به الاستحلال بالفعل وهو أن يكون المحرم عند مرتكبه كاللحل في
عدم تخرجه من فعله ولا احترامه لأمر الله ونهيه حتى كأنه لم يفعل شيئاً فهذا هو الذي
لا يعقل أن يصدر من مؤمن . وإن كان المراد اعتقاد أن الشرع أحله فهذا محال
على نشأ بين المسلمين . ولا أعرف لإمكان الجمع بين الإيمان بما جاء به محمد (ص)
وبين ترك فريضة منه أو ارتكاب محرم الا صورة واحدة وهي الفرور بالاماني
كالمغفرة والشفاعة وجعل الفاسق ذلك كالمقطوع به ، وقد كشفنا الشبهة عن وجه
هذا الفرور مراراً في التفسير وغير التفسير والله أعلم

١٩٢ عرفات وسدودها . وعلة تسميتها [المنار : ج ٤ م ٢٠]

رحلة الحجاز

٥

عرفات وحدودها

كل من عرفة وعرفات (بفتح العين والراء فيهما) اسم لتلك البقعة الشريفة من الأرض التي هي من أشهر البقاع عند ألوف الألوف من البشر . وعرفات اسم مفرد ينون كأذرعات وليس جهما لعرفة، وجوزان يكون أشير بصيغة الجمع الى كون كل مكان أوقسم من تلك البقعة يتحقق فيه معنى التعارف أو التعرف الذي عللت به التسمية كما يأتي قريباً . ويحتمل ان يكون بعض قدماء العرب مدّ فتحة الفاء وأشبعها في الشعر ثم كثر فصار اسماً مستقلاً، ونظيره قول الشاعر في عرنة (بضم العين وفتح الراء والنون)

أبكاك دون الشعب من عرفات بمدفع آيات الى عرفات
وقول عمر بن أبي الكنتات الحكمي المغني

عفت الدار بالهضاب اللواني بين توز فلتقى عرفات

وظاهر عبارة لسان العرب انهما موضعان قال : وعرونة وعرنة موضعان وعرفات موضع دون عرفات الى أنصاب الحرم ، قال لييد :

والغيل يوم عرفات كهكما اذ أزمع المعجم به ما أزمها اه

وأقول : ليس دون عرفة موضع يسمى عرفات غير بطن عرنة الذي يذكره جميع العلماء . وأخطأ من قال ان عرفة مولد ليس بعربي صحيح ومن قال انه اسم لليوم التاسع من ذي الحجة ، وإنما يقال انه يوم عرفة بمعنى انه يوم الوقوف بها كما يقال يوم التروية وليس كيوم عاشوراء . وقد ورد اسم عرفة في الاحاديث الصحيحة علماً للبقعة وكذا في كلام الصحابة وسياقي شيء منها ، وعليه جرى العلماء والفقهاء فكلهم يطلقون اسم عرفة على تلك البقعة الشريفة، فلا يغترن أحد بعبارة القاموس الموهمة ولا بقول من توهم ذلك من المتأخرين وزعم انه مقتضى كلام الراغب ، وإنما قال الراغب « ويوم عرفة يوم الوقوف بها » أي بالبقعة المخصوصة التي اسمها عرفة وعرفات . قبل انها سميت بذلك لان آدم وحواء تعارفا بها بعد هبوطهما من الجنة، وقيل لقول جبريل لابراهيم عليهما السلام لما علمه المناسك وأراه المشاهد : أعرفت

[المتار: ج ٤ م ٢٠] حدود عرفة ومسجد ابراهيم بنمرة ١٩٣

أعرفت ؟ قال عرفت عرفت . وقيل لانها مقدسة معظمة كأنها عرفت أي طابت بالعطير . وقيل لان الناس يتعارفون فيها ، وقيل لتعرف العباد فيها الى الله تعالى بالعبادة والدعاء . والقولان الاولان يتوقفان على نقل صحيح ، والاخير ان أظهر معنى ، ويمدون تعارف الناس هنالك من حكم الحج التي شرع لاجلها ، والواقع ان التعارف بين الحجاج لا يتيسر في عرفة كما يتيسر في منى لان وقت عرفة قصير فان المجمع عليه منه يمتد من وقت الظهر الى وقت المغرب ولا يجزئ الوقوف قبل الزوال عند أحد من العلماء الا ماروي عن الامام أحمد من ان وقت عرفة من فجر يومها . ويجوز الوقوف في ليلة العاشر عند غير الشافعية ، فأنى يفسر التعارف بين أفراد ذلك الجمع الكبير ، في ذلك الوقت القصير ، مع ما بشرع فيه من ذكر الله تعالى ودعائه ، المقصود في هذه المعاهد لذاته . وستأتي للبحث تنمة

وحدود عرفة معروفة للناس بما يتناقلونه بالتواتر عن المواضع التي يحصل الفرض بالوقوف فيها . وذكر العلماء المتقدمون لها حدودا منها قول بعضهم : الحد الاول ينتهي الى جادة طريق المشرق ، والثاني ينتهي الى حافات الجبل الذي وراء أرضها ، والثالث ينتهي الى الحوائط (أي البساتين) التي تلي قرية عرنة وهذه القرية على يسار مستقبل القبلة في عرفة ، والرابع الى وادي عرنة بضم العين وفتح الراء والنون ، وعرنة ونمرة (بفتح فكسر) ليستا من عرفة ولا من أرض الحرم والمالكية يجيزون الوقوف بعرنة ويحتج عليهم الجمهور بحديث « عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة ، ومزدلفة كلها موقف وارفعوا عن بطن محسر ، ومنى كلها منحر » رواه مسلم وغيره . ومحسر (بكسر السين المهملة مشددة) وبطن محسر وعرنة كل منهما واد فاصل بين ما قبله وما بعده من المشاعر ، فوادي عرنة فاصل بين عرفات ومزدلفة ، ووادي محسر فاصل بين المزدلفة ومنى . وقالوا : حد الحرم من المأزمين (بكسر الزاي) وهو مضيق بين عرفة ومزدلفة وهناك علمان مبنيان في أول حدود عرفة جعلتا علامة على حد الحرم فإكان شرقيهما من عرفة وما وراءها فهو من الحل ، وما كان قبلهما من جهة الغرب من بطن عرنة ومزدلفة ومنى فهو من الحرم ، ويوجد ميلان آخران في أول حد مزدلفة من جهة الغرب ، فما بين العلمين والميلين هو وادي عرنة .

١٩٤ أقوال العلماء في مسجد إبراهيم بنمرة [المئزر: ج ٤ م ٢٠]

وفي الجانب الجنوبي من العلمين مسجد نمره المعروف بمسجد إبراهيم بقرب الطريق الممتد من منى الى الطائف ويسمى أيضا مسجد نمره ومسجد عرنة . قال الغزالي : ونمره هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة اه وظاهر حديث نزول النبي (ص) بنمره أنها أدنى عرنة لا كلها . وفي كتب اللغة أن نمره هي الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن يمينك اذا خرجت من المأزمين تريد الموقف . قال شارح القاموس : كذا في التكملة . وقيل : الحرم من طريق الطائف على طرف عرفة من نمره على احد عشر ميلا اه وقد نقل هذا في معجم البلدان وفيه بعده : وقيل نمره على احد عشر ميلا اه أي من مكة . فالتحقيق الذي عليه الجمهور ان المسجد لم يكن من عرفة ، وقول بعض الناس فيه « مسجد عرفة » بالغاء من باب ما جاور الشيء أعطى حكمه أو نسب اليه ، ولذلك نسب بعضهم عرفة الى مكة وبعضهم الى منى . وقال بعضهم إن بعضه من عرفة وبعضه من عرنة ، وذلك بعد ان زيد فيه كما سيأتي

وقال شيخ الاسلام أحمد بن نعيمه في مناسك الحج بعد ذكر استحباب المبيت بمنى ليلة عرفة كما فعل النبي (ص) مانصه : ويسبرون منها الى نمره عن طريق ضب من يمين الطريق . ونمره كانت قرية خارجة عن عرفات (أي فخرت كما صرح غيره) من جهة اليمين فيقيمون بها الى الزوال كما فعل النبي (ص) ثم يسبرون منها الى بطن الوادي وهو موضع النبي (ص) الذي صلى فيه الظهر والعصر وخطب ، وهو في حدود عرفة بطن عرنة . وهناك مسجد يقال له مسجد إبراهيم وإنما بني في أول دولة بني العباس اه المراد منه هنا وقال الغزالي : في الاحياء وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدره في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل اه الوقوف بعرفة . ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخورات كبار فرشت هناك اه

قال الزبيدي عند شرح أول هذه العبارة من شرح لاهياء : وجدت بخط الامام الفقيه الشيخ شمس الدين بن الحريري مانصه « قد وقع للفقهاء في نسبة هذا المسجد لابراهيم الخليل عليه السلام كلام وقد نسبته اليه جماعة منهم ابن كعب وابن سراقه والبلغوي والقاضي حسين والازرقى وتبعهم الشيخ النووي وجماعة من المتأخرين ، وادعى الاسنوي انه خطأ وإنما هو شخص اسمه ابراهيم من رءوس الدولة المتقدمة كما قاله

غير الاسنوي فالتبس بالخليل عليه السلام . ورد الاذرعى هذا بأن الازرقى من أعلم الناس بهذا وقد نسبته الى الخليل عليه السلام ، قال وعلى تسليم أن يكون قد بناه من ذكر فلا يتمتع أن يكون منسوباً من أصله الى الخليل عليه السلام إما لأنه صلى هناك أو اتخذ مصلًى للناس فنسب اليه « اه وأقول : نعم لا يتمتع ذلك عقلاً ولا كتباً لا تثبته الا بنقل صحيح فأين هو ؟ وقال لزيدي عند شرح آخر تلك العبارة : قال النعماني في زوائد الروضة : الصواب ان نمرة ليست من عرفات وأما مسجد ابراهيم (عم) فقد قال الشافعي رحمه الله انه ليس من عرفة فلعله زيد بعده في آخره ، و بين هذا المسجد وبين موقف النبي (ص) بالصخرات نحو ميل . قال إمام الحرمين وأطيف بمنعرجات عرفات جبال وجوهرها المنبلة من عرفة اه وقال صديقنا محمد ايوب بك البتانوني في رحلة الحجارية التي ألفها في سنة ١٣٢٨ بعد وصفه لمنى وانتقاله الى وسف الطريق منها الى المزدلفة فعرفة ما نصه : ومن ثم يضيق الوادي ويسمى بوادي محمر حتى اذا وصل الى المزدلفة وهي على مسافة ساعتين من منى (٤) أخذ في الانساع مرة أخرى . وهناك ترى على يمينك المشعر الحرام الذي يجب الوقوف عنده في النزول من عرفة . وفي هذه الجهة مسجد على جبل قرح عمره السلطان قايتباي . ومن هناك بضيق الوادي ثانياً ويسمى بوادي عربة (اضم العين وفتح الراء والنون) حتى اذا قرب من مسجد نمرة (ويسمى مسجد عرفة أو مسجد ابراهيم) انفتحت ارجاؤه الى الشمال والجنوب . وهذا المسجد كبير قد أحاطت به البواكي [يعني الاروقة] في جهاته الاربع من داخله . وعمره قايتباي عمارة شكر ، ونصفه الغربي (الذي الى مكة) في الحرم والصف الآخر في الحل وبوسطه مجرى ماء يسير اليه زمن الحج من مجرى عين زيدة . وفي شمال هذا المسجد بقليل الى الشرق ترى العليين وهما عمودان من البناء بعيدان عن بعضهما [أي أحدهما بعيد عن الآخر] بارتفاع خمسة أمتار في عرض نحو ثلاثة قد أقيا في فضاء الوادي للدلالة على حدود عرفة من الغرب وهناك نجد الجبل قد حلق على الوادي وقفله امامك من الشرق [أقفله أي سده] بشكل قوس كبير وهو ما يسمونه جبل عرفة . وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف على كرا . وفي طرفه من جهة الشمال اسان يبرز الى الغرب يسمونه جبل الرحمة ، وسفحه الجنوبي هو حد عرفة من الشمال . اه

١٩٦ صفة جبل الرحمة بعرفات [المنار: ج ٤ م ٢٠]

صفة جبل الرحمة بعرفات

قال ابن جبير الأندلسي في رحلته : « وعرفات بسيط من الأرض مد البصر لو كان محشر الخلائق أوسعهم ، يمدق بذلك البسيط الأفيح جبال كثيرة . وفي آخر ذلك البسيط جبل الرحمة وفيه وحوله موقف الناس ، والمكان قبله بنحو الميادين فما أمام العلين إلى عرفات حل وما دونهما حرم ، وبمقربة منهما مما يلي عرفات بطن عرنة الذي أمر النبي (ص) بالارتفاع عنه — ثم قال — « وجبل لرحمة المذكور منقطع عن الجبال قائم وسط البسيط وهو كله حجارة منقطعة بعضها عن بعض . وكان صعب المرتقى فأحدث فيه جمال الدين (هـ) المذكورة ما كثره في هذا التقييد أدراجا وطبقة من أربع جهاته يصعد فيها بالدواب الموقورة وأنفق فيها مالا عظيما . وفي أعلى الجبل قبة تنسب إلى أم سلمة (رض) ولا يعرف صحة ذلك وفي وسط القبة مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه . وحول ذلك المسجد المكرم سطح ممدق به فسبح الساحة جميل المنظر يشرف منه على بسيط عرفات . وفي جهة القبلة منه جدار وقد نصبت فيه محاريب يصلي الناس فيها . وفي أسفل هذا الجبل المقدس عن يسار المستقبل للقبلة دار عتيقة البنيان في أنزلها غرف (وفي نسخة غرفة) لها طيقتان تنسب إلى آدم (ص) وعن يسار هذه الدار في استقبال القبلة الصخرة التي كان عندها موقف النبي (ص) وهي في جبل متطامن »

أقول هذا الجبل هو جبل إلال (بوزن هلال) قال ابن دريد في وصف الحاج

- | | |
|--------------------------|-------------------------------|
| ينوي التي فضلها رب العلي | لما دعا تربتها على البني (١) |
| حتى إذا قابلها استعبر لا | بماك دمع العين من ديت حري (٢) |
| نمت طاف واثني مستلما | نمت جاء المروتين فسمي (٣) |
| نمت راح في اللبين إلى | حيث تحجى المأزمين ومنى (٤) |
| ثم أتى التعريف يقرؤ غبثا | منازلا بين إلال فالقما (٥) |

(*) هو جمال الدين محمد الجواد الوصفي كان وزير صاحب الموصل وله في الحرمين والمشارع عمارات عظيمة (١) البني جمع بنية يشير إلى أثر « دع الله الأرض دعواً من تحت السكينة » وهو مردي عن عطاء وليس حديثاً كما توهم ودع الشيء راءه كاشفه ونجاة قبل وبسطه (٢) استعبر جرت عبرته أي دمعته (٣) المروتان الصفا والمروة تليق (٤) تحجى قصد وتعمد (٥) التعريف الوقوف بعرفة أي أتى مكان التعريف وبقرو يستقرو ويتجمع منزلاً بمنزل ، ونجبتا خاضعا خاشعا ، وإلال الجبل ، والنفا تلال الرمل

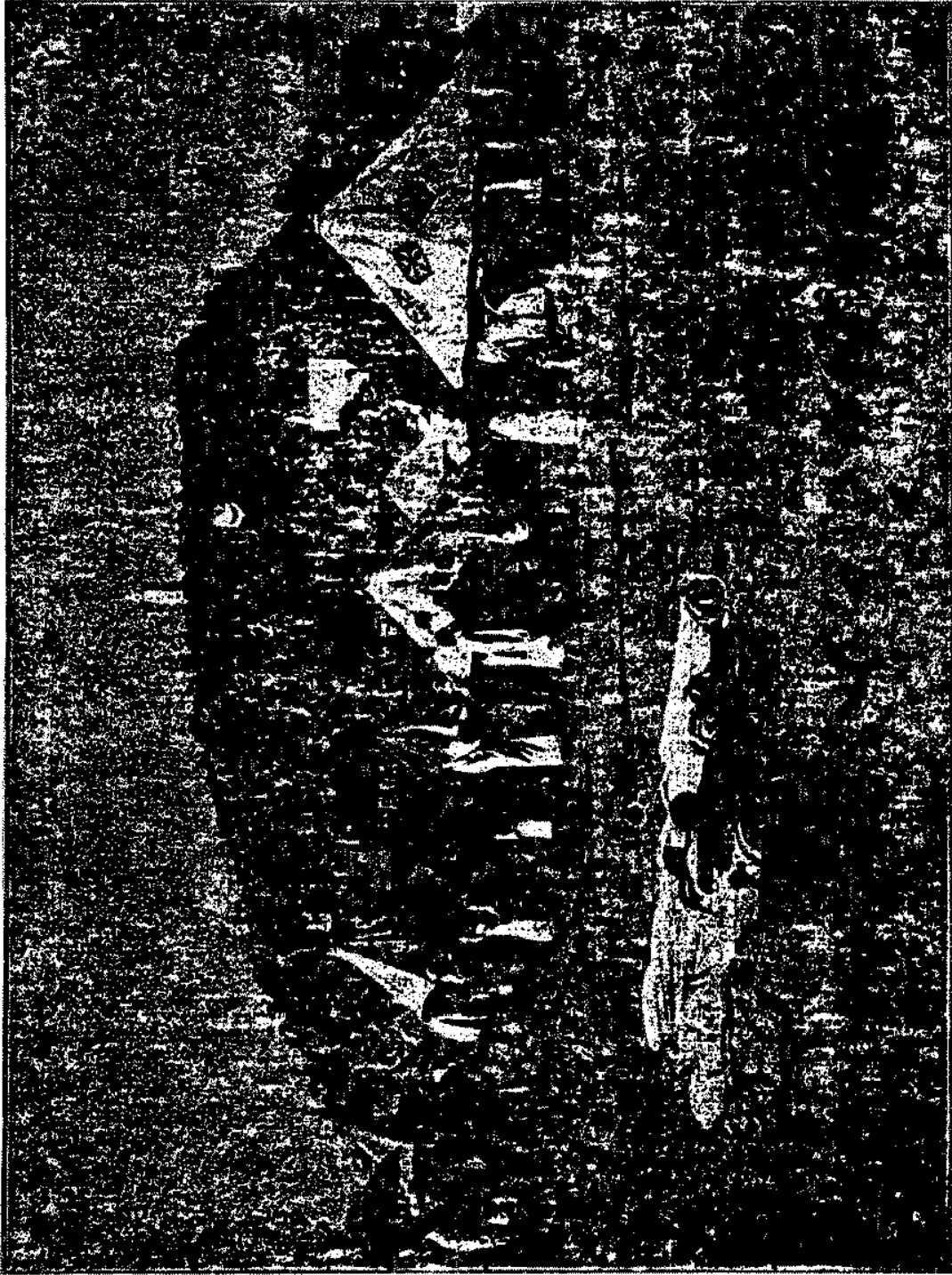
موقف النبي (ص) بعرفة

اتفق الرواة على أنه (ص) صلى الصبح يوم عرفة بمنى ورحل منها بعد طلوع الشمس حتى جاء بكرة فأقام بها إلى وقت الزول ثم جاء بطن الوادي لجمع بين الظهر والعصر ثم خطب الناس ثم راح فوق على الموقف من عرفة ، وعلى أن المكان الذي وقف فيه وأشار إليه في الحديث هو المكان المعروف عند الصخرات . وقال « وقفت ههنا وعرفة كلها موقف » والمراد أنه لم يقف هناك لمزية لذلك المكان على غيره في أداء النسك بل يصح الوقوف في كل موضع من عرفة . ولكن صار لذلك المكان مزية بوقوفه فيه فصارت موقف الأئمة ونوابهم الذين يحجون بالناس . وقد نقل الزبيدي في شرح الأحياء كلاماً من اتصالاً للمحب الطبري في ذلك المكان وفي جبل الرحمة قال « وقد روى أبو الوليد الأزرقى بإسناده عن ابن عباس أن موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين الأجل الثلاثة التابعة والتبعية والتاب ، وموقفه صلى الله عليه وسلم منها على النابت قال والنابت على النشرة التي خلف موقف الامام . وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضرس من الجبل النابت مضرس بين أحجار هناك نابتة من الجبل الذي يقال له إلال ككتاب = (قال المحب الطبري) وعلى هذا يكون موقفه صلى الله عليه وسلم على الصخرات الكبار المفترشة في طرف الجبيلات الصغار التي كانت الروابي عند الجبل الذي يعتني الناس بصعوده ويسمونه جبل الرحمة واسمه عند العرب إلال بالكسر ، وذكر الجوهري فيه الفتح والمحفوظ خلافاً ، وهذا يرجح ضبطه من ضبط قول جابر في حديثه الطويل « وجعل جبل المشاة بين يديه » بالجيم فن الواقع كما وصفناه يكون هذا الجبل أعني إلال بين يديه وهو جبل المشاة ، وذكر ابن حبيب أن إلالاً جبل من الرمل يقف الناس به بعرفات عن يمين الامام ، حكاه عنه أبو عمرو عثمان بن علي الأنصاري في تعاليقه على الجوهري ، وذكر ابن أبي الصيف في بعض تعاليقه على الجوهري أن اسم جبل الرحمة الذي يقال له جبل المشاة كبكب = (قال المحب الطبري) والمشهور في كبكب أنه اسم جبل بأعلى نعان بقرب الثنايا عنده قوم يدعون الكبابة نسبة إليه ، والمشهور في جبل الرحمة ما ذكرناه . إذا تقرر هذا فن كان راكباً ينبغي أن يلبس بدابته الصخرات المذكورة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ، ومن كان راجلاً وقف عليها أو عندها بحسب ما يتمكن من غيره

أيذاء أحد ، ولا يثبت في الجبل الذي يعتني الناس بصموده خبر ولا أثر (قال) وذكر شيخنا أبو عمرو ابن الصلاح في منسكه عن صاحب الحاوي أنه يقصد الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام ، وعن محمد بن جرير الطبري أنه يستحب الوقوف على الجبل الذي عن يمين الامام يعني جبل الرحمة ، والذي ذكره صاحب الحاوي لادلالة فيه على إثبات فضل لهذا الجبل فانه قال والذي نختار في الموقف أن يقصد نحو الجبل الذي عند الصخرات السود وهو الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام والموقف الذي وقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الاجبل الثلاثة على النابت . ثم ساق ما أوردناه سابقاً ثم قال وهذا أحب المواقف لينا للامام والناس (قال المحب الطبري) وهذا صريح في أنه أراد بجبل الدعاء النابت الذي وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تعرض في كلامه لجبل الرحمة بنفي ولا اثبات . وما فهمه رحمه الله انه جبل الرحمة غير مطابق وقوله وهو الجبل أراد سهله وهو من الاضداد يطلق على المكان المرتفع والمنخفض والنبي صلى الله عليه وسلم انما وقف عليه لكونه موقف الانبياء عليهم السلام ، وكلام ابن جرير ظاهر الدلالة أنه أراد بالجبل الذي عن يمين الامام الجبل الذي وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو النابت كما تقدم بيانه والظاهر انهما أراداه بقولهما فيكونان قد أثبتا له شيئاً من الفضل ، ولا نعلم من ابن اخذاً ذلك اذ لم يثبت في فضله خبر ولو ثبت له فضل فوقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه وهو الذي خصه العالم بالذكر والفضل ثم قال الطبري تقلاع عن صاحب النهاية : في وسط عرفة جبل يقال له جبل الرحمة : ولا نسك في الرقي عليه وان كان يعتاده الناس . وقال غيره قد افتتحت العامة بهذا الجبل في زماننا واخطوا في اشيائهم منها (أهم) جعلوا الجبل هو الاصل في الوقوف فهم بذكروه لمجون ، وعليه دون غيره معرجون ، حتى ربما اعتقد بعض العامة ان الوقوف لا يصح بدون الرقي (فيه) ومنها احتفالهم بالوقوف عليه قبل وقت الوقوف ، ومنها ايقادهم النيران عليه ليلة عرفة واهتمامهم لذلك باستصحاب الشموع من بلادهم واختلاط النساء بالرجال هنالك صموداً وهبوطاً بالشمع الكثير الموقد ، وانما حدث ذلك بعد اقراض السلف الصالح ، ومن كان متبعاً آثار النبوة فلا يحصل بعرفة قبل دخول وقت الوقوف يأمر بذلك ويمين عليه وينهى عن مخالفته اهـ ما نقله الزبيدي



هذه الصورة رسمت لرحلة الطائفي



النجار علي بن جبريل الرحمة بقرقاش

هذه الصورة رسمت لرحلة البنتوني

الحرب والصلح

كثر الخوض في حديث الصلح في السنة الماضية ، وقد كانت دول التحالف الجرمانى هي التي بدأت بطلب فتح باب المفاوضات في الصلح وكلفت ألمانى الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكىة قبل انضمامه الى محاربىها أن يتوسط بين المتقاتلين في الصلح فكتب مذكرة في ذلك ردت عليها انكثرة أشد الرد ، ورفضتها كل الرفض ، وتبعها حلفاؤها بالطبع . ثم ان البابا أرسل رسالة الى جميع الدول المتقاتلة من الفريقين دعاهم فيها الى المبادرة الى حقن الدماء ، وعقد الصلح على قاعدة جعل قوة الحق الادبىة بدلا من قوة الجيش المادية ، وتحديد التسليح البرى والبحرى والجوى ، وحرية البحار وحقوق الشعوب وعدم ضم شيء من أملاك بعضها الى بعض وعدم أخذ غرامة حربىة وجعل التعويض عن الخراب بالتعاون - وقاعدة التحكيم الاجبارى فيما يقع بين الدول من المسائل الخلافية . فلم يستحسن هذه المذكرة من دول التحالف البريطانىة الا حكومة روسية المؤقتة التي سبقت الى اقتراح قاعدة « لاضم ولا غرامة » وقد رد الدكتور ولسن على المذكرة ردا طويلا وافقه عليه سائر الحلفاء أهم ما فيه ان حكومة ألمانىة الحاضرة حكومة أقرطابية لا تثق الحلفاء بيهودها فيمقدوا مهابلحا فالاساس الاول لقواعد الصلح عندهم تحويل هذه الحكومة الى ديمقراطية تنطق باسم الشعب فان لم يبادر الالمان أنفسهم الى قلب حكومتهم وثل عرش آل هوهنزلرن المؤيد بالقوة العسكرية والاستعاضة عنها بحكومة ديمقراطية فان الحلفاء هم الذين يفعلون ذلك بالقوة القاهرة ، وحينئذ يتم الصلح الحقيقى الذى يستريح به البشر من مصائب الحرب . وقد أيدت الحلفاء الرئيس في رده وأثنت جرائدها عليه (١) الا أن بعض الجرائد الانكليزية كالتيمس أنكرت منها تفرقة الرئيس بين الحكومة الالمانية والشعب الالمانى اذ جعل وزير الحرب على الحكومة وحدها قالت « ولكن الشعب الالمانى قابل الحرب بحماسة عظيمة وان لم يكن هو الذى أعلنها وقد وافق

(١) نشر رد الرئيس ولسن في مقطم ٣ ذي الحجة الماضى (٢١ سبتمبر) ونشرت نبذة من الجرائد الامريكىة والانكليزية والفرنسية واليطليانية في تأييده في ٤ ذي الحجة

٢٠٠ رد دول التحالف الجرماني على مذكرة البابا [النار : ج ٤ م ٢٠]

نوابه على جميع الاعتمادات الحربية وقابلت صحافته الفظائع الجرمانية بهتاف شديد»
ونقول ان الظاهر لنا أن الرئيس واسون يرمي بتبرئة الشعب الالماني من تبعه
الحرب واطهاره الا كتنفاء باسقاط حكومته الامبراطورية الى اغرائه بثورة داخلية على
حكومته الممتازة بكونها جهة الوحدة لقونها وقوة أحلافها فان تم هذا تنتهي الحرب في
أقرب زمن بأقل خسارة

أما دول التحالف الجرماني فقد قابلت مذكرة البابا بالابتهاج فأما ألمانية فقد
أرسل وزير امبراطوريتها ردا جميلا الى وزير خارجية الفاتيكان بأمر مولاه الامبراطور
بدأه بقوله « ان جلالاته ينظر بعين الاحترام والشكر والسرور الى المساعي التي يبذلها
قداسة البابا لتقصير أجل الحرب وتخفيف وطأتها» الخ وتبجح بأن مولاه مازال نصير
السلم منذ تبوأ العرش وبأنه يوافق على ان الشروط التي فاتها قد استه من الامور التي
يجب أن تظهر في المفاوضات المقبلة وبأنه «ليس في العالم شعب يتمنى الصلح على أساس
اصلاح ذات البين بين الامم وإحلال الاخاء والمساواة محل البغض أكثر من الشعب
الالماني. (قال) فإذا أدركت الامم المشربة بهذه المبادئ ان الاتفاق خير من الشقاق
فإنها تستطيع أن تسوي جميع المشا كل الحاضرة وتمنع وقوع الحروب في المستقبل
بإزالة جميع الشعوب ما يلزم لحياتها وسعادتها، فعلى هذا الاساس وحده يحتمل أن
يبرم الصلح الدائم الذي يقرب بين الامم وينهض بالبشرية نهضة كبيرة من الوجهتين
المعنوية والاقتصادية. وهذه الثقة هي نحمّلنا على الاعتقاد بأن أعدائنا يجدون في
المبادئ التي أرب عنها قداسة البابا أساسا تهديدا للصلح المقبل بشروط تلائم
روح العدل وموقف أوروبا الحالي» اه بنص ترجمة المقطم (في ٩ ذي الحجة الماضي)
ورد امبراطور النمسة الجديد (كرويس) بنفسه ردا مشربا بتمتعي التعظيم
والاحترام والقبول لانه هو الامبراطور الكاثوليكي لوحيده ولكنه لم يفه بكامة ما
تدل على اعترافه بحقوق الامم والشعوب

وكذلك كان رد لدولة العثمانية على المذكرة بامضاء السلطان محمد رشاد رد
مشربا بالتعظيم والاحترام وصرح فيه بالموافقة على القواعد الاساسية التي اقترح ان
يبنى عليها الصلح والاستعداد للدرس الطرق الى تؤدي الى تسوية المشا كل الدولية

في إبان مفاوضات الصلح (قال) «واننا نصرح بذلك وامام نظارتنا الضمان الكافي على استقلال الامم وحريتها وارتقاءها لاننا رأينا في اقتراح قدامتكم أساسا متينا للصلح العمومي الدائم وطريقة حسنة لحقن الدماء»

وقال قبل ذلك «لقد أكرهنا على خوض غمار الحرب دفاعا عن حريتنا وارتقاء بلادنا . وهذه الغاية الشريفة هي الغاية الوحيدة التي نحارب الآن من أجلها والتي تكفل لنا المحافظة على حقوقنا واستقلالنا التام المطلق في بلادنا وعلى حدودنا القومية» اهـ من ترجمة المقطم التي نشرت في عدد ٨ المحرم - ١٢٥ أكتوبر الماضي

وقد جزم ساسة حلفاء بأن البابا لم يسع هذا السعي الى الصلح الى بتوسل ألمانية والنمسة اليه وان سبب ذلك الشعور بالضعف والمعجز عن الاستمرار على القتال ، وان الغرض منه إغراء الميالين الى الصلح في بلاد أعدائهم من الاشتراكيين وغيرهم بحمل حكوماتهم على عقد الصلح، فما من أمة محاربة الا وفيها كثير من محبي السلم ودعائه. أما رأي هؤلاء الاحلاف في مسألة الامم والشعوب فقد بيناه في الجزء الاول، وأما مسألة الغرامة فقد صرحت جرائدهم ناقلة عن أقطاب سياستهم ان من أهم شروط الصلح عندهم أن يؤخذ من الجرمان عوض عن البلاد التي خربوها في بلجيكة وفرنسة والبلقان ، بعد جلائهم عن هذه البلاد كلها ، ومنها رد الاتراس واللورين الى فرنسة وقد جاءت برقيات روتر في ٥ المحرم (١٢٢ أكتوبر) بنص خطبة طويلة باليعة من خطب لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ألقاها على ملا أعظم في لندن كان غرضه الاول منها الحث على لاقتصاد في جميع النفقات واستطرد فيها الى الكلام في مسألة الصلح فقال بعد التصريح بأنه لا يرى في جو السياسة شروطا تؤدي الى صلح وطيد الاركان « ولكن الشروط الوحيدة المحتملة الآن تؤدي الى هدنة مسلحة تفضي الى حرب أشد هولاء من هذه . ان هذه الحرب مخيفة ولكن ما كشفتته من الرزايا التي يحتمل وقوعها في البر والبحر والجو أشد هولاء وأعظم زعجا ، فلماذا أطلب من الذين يلحون في عقد صلح مبسر - اذا صح ان هنالك من يلح فيه - ان ينعموا بالنظر فيما يحتمل وقوعه اذا وقع صلح غير مرض » ثم قال :

« يجب علينا في أثناء البحث في شروط الصلح ان نضع نصب عيوننا الغرض

٢٠٢ الحرب السياسية والقلمية لإدراك الانكباب فيها [المنار: ج ٤ م ٢٠]

المعظم من هذه الحرب فإن المسألة ليست مسألة تعديل حدود أملاك الا حيث تقتضي حقوق القوميات هذا التسليم، ولا هي مسألة غرامات الا حيث تكون الغرامات للتعويض من ضرره، ولذا في الدرجة الاولى مسألة القضاء على مبدأ قاسد باطل استعبد أوربة وأوقع الخوف في قلوب أهلها أو كاد أو أتيح له الفوز (هتاف) « ان المدو الحقيقي هو روح الحرب الذي نشأ وترعرع في بروسياء هذا الروح الذي يرمي الى جعل العالم مكاناً تسلط فيه القوة البيهيمية تسلطاً لا ينازع فيه أحد، بدلا من عالم تسكنه ديمقراطيات حرة مرتبطة معاً بعري السلم الشريفة، وقد أقبح لهذا الروح هيكل يعبده في بئسدام^(١) فلا سلم في العالم ولا حرية الا اذا ذلك هذا الهيكل وشتت شمل كهنته وألبسوا ثوب العار الى الابد (هتاف)

«وعلقت الرجاء باننا تتمكن في السنة الحالية من القضاء على هذه القوة الهائلة وكنا جميعاً ننظر حركة حرية عظيمة من جميع الجهات تتجه الى المدو وتبيلنا هذه الامنية. ولكن تضعض قوة روسيا الحربية الموقت — لا أقول انه خيب الآمال ولكنه أجل تحقق الرجاء على أن الزمان في جانبنا » اه المراد منه

[المنار] ان الحرب السياسية من قولية وعملية، أعظم من الحرب الآلية من برية وبحرية، وقد ظهر من براعة البشر في الحرب القلمية، ما هو أدل على الخدق والذكاء من براعتهم في اختراع الآلات والاساليب الحربية، ومن براعة الانكباب المهددة في السياسة أن قذفوا الالمان بالدول والامم، بازاء قذف غواصات الالمان لبواخريهم بالحلم، حتى صار أعظم دول أمريكة الشمالية وأمريكة الجنوبية حربا لهم، بل آذنتهم دول الصين بالحرب أيضا، فصار عدد نفوس الامم المحاربة لهم بالذات والتبع زهاء ألف وخمسمائة مليون، وهم لا يزيدون مع أحلافهم على مئة وخمسين مليونا، وقد صرحت الجرائد بأن الجيش البريطاني المقاتل في الميدان الغربي وحده لا يقل عن ثلاثة ملايين، وان الجيش الالمانى المقاتل بالفعل لا يكاد يتجاوز أربعة ملايين. وصرحت مرارا بأن الانكباب وأحلافهم متفوقون على الجرمان في السلاح والذخائر وجميع مواد الحرب أضماقا كثيرة، بل جاء في برقية لمكاتب

(١) المنار يعنى الوزير بهذا الهيكل عرش ملك بروسيه امبراطور الالمان

المقطم بياريس في ٣٠ مايو الماضي ان الجنرال ز. لندن قال في مقالة له « يظهر ان النمسة وبلغارية وتركية استنفدت جميع قواتها وصارت على آخر رفق ، وان هذه الدول الثلاث ما كانت اثبت لولا همة ألمانية ونشاطها ، ولكنها ستلاشي بنفاد قوتها وتطرد الوهن اليها » وقال عن الجيش الألماني « ان عدد فرقه كان في شهر ابريل الماضي متين وتسع فرق من المشاة وهذا العدد يساوي عدد المشاة من البريطانيين في ميدان فرنسة فللفرنسيين والانكليز التفوق على ألمانية » اه

نعم انهم خسروا قوة روسية ولكن يقابلها انضمام الولايات المتحدة اليهم ، وهذه الدولة أغنى دول الارض الآن ، وهي تقرض الحلفاء المال بمئات الملايين في كل شهر ، وتقدم لهم من الذخائر والاغذية والمواد الضرورية للحرب ماخف به الحمل الثقيل عن عاتق الانكليز . ففي مقطم ٢١ المحرم (٧ نوفمبر) مقالة افتتاحية قال فيها : ان الحكومة البريطانية أقرضت حلفاءها ألفا ومئتي مليون من الجنيهات ، وهي تجود عليهم بالبواخر والفحم والصوف والقطن والزيت والفولاذ وغير ذلك من المواد الخام التي تكثر في بلادها وفي مستعمراتها . ثم ذكر ان لها في الميدان الغربي نحو من ثلاثة ملايين مقاتل هذا وان الاخلاق ركن من أعظم أركان الحرب لأن جميع أعمال البشر من آثار أخلاقهم ، فالصبر والثبات في الحرب واجتماع الكلمة خبر من كثرة الجيوش ، فتأمل تحليل النصر في النص الكريم (٢ : ٢٤٤ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقوله تعالى (٨ : إذا قمتم فئة فاثبتوا — الى قوله — ولا تنازعوها فتفشلوا وتذهب ربحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) ومعنى كونه تعالى مع الصابرين ان سنته في خلقه قد جرت بمجمل الصبر ، من أعظم أسباب الغلب والنصر ، ولا سيما اذا صحبه الايمان بالله عز وجل والثقة به والتوكل عليه ، وبمجموع ذلك فاز المسلمون من قبل فغلبوا الامم الكثيرة بالفئات القليلة

والصبر والثبات والتعاون من الاخلاق التي امتازت بها الامة الانكليزية على كثير من الامم منذ أجيال ، لذلك كانت أخلاقهم ، أنفع لآحلافهم من أموالهم ومقاتلهم ، فلولا لم يثبت على حرب الالمان أحد ، وهؤلاء الالمان أقران لهم وأقتال في ذلك ، فحرب الاخلاق بينهم هي الجهاد الاكبر ، وعليه المعول الاخير في النصر والظفر ،

٢٠٤ مختارات الطعن في وزير إنكلترا [المنار: ج ٤ م ٢٠]

مختارات من الجرائد

﴿ الطعن في رئيس وزراء الإنكليز ﴾

الطعن في العظماء والمصلحين في الأمم سنة من سنن الاجتماع حوادثها كثيرة في التاريخ، وقد اتهمت جريدتان من الجرائد الإنكليزية مستر لويد جورج رئيس وزراءهم الذي أظهرت الحرب كفاءته وتفوقه على الأقران فزعمت أنه فر من لندن إلى فرنسا عند علمه بأحدى غارات الطائرات الألمانية إلى العاصمة وقد كذبت الحكومة الجريدتين فلم تعتذرا عن كذبهما فرفع الوزير عليهما دعوى لسوء تأثير طعنهما في العامة. وقد عجبنا مما أظهرته الدعوى من كثرة ما سبق من الطعن في الوزير، وهو موضع العبرة التي أردنا ضمها إلى أمثالها من حوادث التاريخ. فقد جاء في مقطع ٢٤ المحرم ١٠ نوفمبر - من مقالة في شرح هذه القضية ما نصه :

« ولما عرضت القضية على المحكمة قال المحامي عن المستر لويد جورج إن موكله يقول إنه لو كان ما عزته الجريدتان والشركة إليه طعنا شخصيا في شخصه فقط لرأى أن كرامته ومقامه كرئيس وزراء بريطانيا العظمى يقضيان عليه بأن يتقاضى عنه ويكتفي بتكذيبه في الصحف التي نشرته فإن المستر لويد جورج استهدف في حياته السياسية لما لم يستهدف له سياسي آخر من الحملات والمطاعن الشخصية والسياسية فقابلها كما يجب على الساسة أن يقابلوها أي أنه عدها من الأمور التي لا مناص للسياسي من الاستهداف لها في حياته السياسية. قال المحامي والمستر لويد جورج يعذرنى إذا قلت إن خصومه ما كانوا يخرجون من مناضلته فائزين. على أن الذي يهم رئيس لوزارة في قضيتنا هذه هو سوء الوقم الذي يقع في نفوس الجمهور من اتهامه كذبا بالجنس، فقد بلغه أن الناس ولا سيما في القسم الشرقي من لندن ساء لهم خبر مغادرة كبير وزراءهم للندن للتخلص مما تعرضوا له، ولما كانت هذه التهمة كاذبة لجأ الرئيس إلى المحاكم لينفي فيها على رؤوس الأشهاد هذه التهمة الباطلة ويطلب مواطنيه على الحقيقة » ثم ذكر المقطم أن الوزير لما حضر المحكمة وحلف اليمين ألقى عليه المحامي أسئلة أجاب عنها، منها السؤال الآتي مع جوابه :

س : ألم أفهم منك انه لو كان الطعن شخصيا موجه الى شخصك فقط لما رفعت هذه القضية؟
ج : كنت أكنفي بنفي الخبر الذي روته الجريدتان لاني لو مرت على قاعدة رفع القضايا على كل من يطعن فيّ لما أتيج لي ان أفعل شيئا آخر «

﴿ الاسرائيليون وفلسطين ﴾

ترجمة برقية خصوصية للمقطم من مكاتبه بلندن أيدتها برقيات روتر
لندن الجمعة في ٩ نوفمبر الساعة ٣ بعد الظهر
ذكرت جريدة « جويش كرونكل » ان المستر بلفور وزير الخارجية البريطانية
كتب الى اللورد روتشلد يقول ما نصه : —
« يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك انها تنظر بعين الرضى والارتياح
الى المشروع الذي يراد به ان ينشأ في فلسطين وطن قومي لشعب اليهود وتفرغ خبر مساعيها
لتسهيل ادراك هذا الغرض . ولكن ليكن معلوما انه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر
بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن أو بالحقوق
التي يتمتع بها اليهود في البلدان الاخرى وبمر كزهم السياسي فيها » مكاتبكم بلندن

﴿ مظاهرات الصهيونيين لتحقيق أمانهم في فلسطين ﴾

جاء في مقطم ١٦ المحرم — ١٣ نوفمبر ما نصه :
« قال وكيلنا الاسكندري أمس : أقام الاسرائيليون ولا سيما الصهيونيين منهم
احتفالا كبيرا أمس في حديقة رشيد بالاسكندرية على إثر البيان الذي أبلغه المستر
بلفور الى اللورد روتشلد في شأن تحقيق أمان الاسرائيليين بمجمل فلسطين وطناً
قومياً لهم . وقد ألقى بعض خطبائهم في هذا الاحتفال خطبا تناسب المقام فشكروا
للحلفاء عامة وبريطانيا خاصة هذا الوعد الشريف آمين تحقيقه في القريب العاجل
ثم طاف المحتفلون وهم في أحسن نظام في شوارع المدينة الكبرى نتقدمهم
الموسيقى وفرقة الكشافة الاسرائيلية وهم فرحون جذلون بتلك البشرى السارة هاتفون
للحلفاء ولبريطانية العظمى بدوام النصر والظفر » اهـ

٢٠٦ معركة غزة ونتائجها . ما قبل في سقوط بغداد [النار : ج ٤ م ٢٠]

معركة غزة ونتائجها

نشر المقطم تحت هذا العنوان البرقية الآتية : باريس في ٨ نوفمبر
ان سقوط غزة من الحوادث التي يمكن أن تنشأ عنها نتائج عظيمة جدا والتي
تعد مقدمة لاقول نجم تركيا في الاماكن المقدسة وتحرير البلاد التي هي مهد
الديانة المسيحية . وقد قطعت المواصلات التركية تماما مع القوات التي تحارب في
بلاد العرب وصار مصير « المدينة » معروفا من الآن . وقد احتلت انكلترا حليفة
ملك الحجاز كل العراق تقريباً وجنوبي بلاد فلسطين (هافاس)

عبر التاريخ

٢

ما قبل في سقوط بغداد

نشر المقطم في عدد ٢٨ جماد الاولى سنة ١٣٣٥ - ٢٢ مارس ١٩١٧ ترجمة
ميشور الجنرال مود الذي خاطب به أهل بغداد عقب دخولها فأنحا باسم ملكه
واسم الشعوب التي يحكمها وقد بدأه ببيان أن غرضهم من الحرب كسر العدو
واخراجه من البلاد فجي . جيوشهم العراق لذلك لا « كما يأتي الغازي الفاتح والعدو
الطامع » ثم تبي بذكر تخریب الا جانب للبلاد من عهد هولاكو واستبدادهم فيها ثم قال :
« ان جلالة ملكي وشعوبه والامم العظيمة المحالفة له يرومون لكم السعادة
والرخاء واحياء العصر القديم لما كان الخصب منتشرا في دياركم تضيء العالم بنبراس
الآداب والعلم والفنون ولما كانت بغداد احدي عجائب الدنيا
« ان بين شعبكم واملاك ملكي علاقات مصلحية وثيقة فقد تعامل تجار بغداد وتجار
بريطانيا العظمى منذ مئتي سنة بنجاح المودة والصداقة وجنى الفريقان الربح أما الالمان والترك
الذين نهبواكم فقد أخذوا بغداد منذ ٢٠ سنة مقرا لها جهة قوة بريطانيا العظمى وحلفائها
في ايران وجزيرة العرب ، فلم يسمع الحكومة البريطانية الا أن تكثر لما يقع في بلادكم
الآن وفي مستقبل الايام ، فان الواجب والمصلحة للشعب البريطاني وحلفائه يقضيان على
الحكومة أن لا تسمح بان يتكرر في بغداد ما فعله الترك والالمان في ابان الحرب »

[المنار: ج ٤ م ٢٠] كلام مستشرق إنكليزي في العرب ٢٠٧

ثم خاطب أهل بغداد خاصة فذكر لهم أن حكومتهم بهمها بسرهم التجاري وسلامتهم من الظلم والجور، ومناياهم من أرهاقها لهم بأحكام أجنبية عنهم قال: «بل هي نرجو أن نحقق آمال فلاسفتكم وحكمائكم وكتابكم فنزعو ببغداد ونزهر وينشط أهلها ويتمتعون بثروتهم ومقتنياتهم في ظل النظام الذي يطابق شرائعكم المقدسة وأمانيتكم القومية» وذكرهم ثانية بظلم الأجانب واستقلال الحجاز. وختم المنشور بدعوتهم إلى الاشتراك في إدارة شؤونهم الملكية مع مندوبي بريطانيا العظمى الذين يصحبون الجيش البريطاني (قال) فتحدوا مع بني جنسكم في الشمال الشرقي والجنوب والغرب على تحقيق آمال العرب

ثم نشر المقطع مقالة في عدد ٢٩ جمادى افتتحه بمباراة طويلة من مقالة لمستشرق بريطاني دعا العرب فيها إلى اليقظة وطلب الحرية والاستقلال (هي المقالة التي نشرها المقطع في شهر سبتمبر من العام الماضي وأشار إليها في المقالة التي نقلنا عنه معظمها في آخر الجزء الماضي) هذا نصها:

«هل انحط العرب اليوم أو فسدت أحسابهم وضعفت هممتهم؟ - كلا لا هذا ولا ذاك فهمتهم لا تزال كبيرة، وأحسابهم لا تزال صحيحة وهم حافظون لأنسابهم وقمصانوا مازانهم به الله من قوة وبأس وهمة ونشاط ومضاء عقول وصاله رأي وشجاعة وقدم وأخلاق كريمة وسماحة وجود وإحسان، ولكني رأيتهم غارقين في بحور الفاقة، وقد تولاهم التفرق واشتد بهم الانقسام فدانوا أسواهم وخضعوا. وبعدما كانوا سادة صاروا مسودين، فهل يقولون بعد أن نضع الحرب أوزارها، كما كانوا لما أضرم أوارها

«نشئت شمل العرب ودالت دولتهم منذ عصفت في بلادهم عاصفة هولا كوالمنفولي واجتاحها السلاجوقيون رعاة طوران فضاء استقلال العرب وباتوا رعية لسواهم، فذلوا بعد العز وافقرؤا بعد الفنى وخيم الجهل على بلادهم بعد ما كانت مطلع شمس العلم والعرفان حتى طلع صبح اليوم الذي تفك فيه قيود الأمم المقهورة، فهل يعتبر العرب بما يقع الآن في انحاء الدنيا ويجمعون كلمتهم ويبتغون الوحدة القومية لهم ولا بنائهم بدم

«لقد كان العرب أعداء أنفسهم، فأوسعوا مجال الانقسام بينهم ولولا ذلك لما تسلط عليهم شعب أدنى منهم وأخطأ، فالعرب لا نعوزهم الشجاعة ولا تنقصهم الاخلاق

الكريمة، وقد امتد ملكهم من بحر الروم الى سور الصين فضربت الامثال بنجدتهم،
وتحدثت الامم بياسهم وشدتهم، ولا يزالون كما كانوا من أشد الناس نخوة وأعظمهم
حمية، وهم كرمل البحر في الكثرة، فكيف يرضون بالذل ولا يطمعون بالاستقلال
ومساواة الشعوب العظيمة والتمتع بأطياب الحياة ورغد العيش والهناء.

«لست أدعوا العرب لأن يكونوا سفاحين كالالمان ولا ظالمين كالترك، ولكنني أتمنى لهم
ان يكونوا أحراراً في بلادهم، وان يطبوا انفساً وعيشاً ويعودوا الى سابق عهدهم، فينبروا
العالم بأنوار حكمتهم وعلمهم، وفلسفتهم وصناعتهم، كما فعل أسلافهم الكرام من قبلهم
» اني أسمع صوتاً ينادي من السماء، ويقول: انهضوا يا أبناء عدنان، وياسلالة
قحطان، وافيقوا من سنة النوم فقد غابت عليكم الف عام

ثم قفى المقطع على هذه البذرة بالتنويه بنشور الجنرال مود والثناء عليه، وليكنه
هنا هفوة كبيرة في المقابلة بينه وبين ما خاطب به الحجاج أهل العراق، اذ وصفهم
بالنفاق والشقاق، والفرق بين الحالين عظيم

﴿ ترجمة الشيخ سليم البشري ﴾

أرجأنا بقية هذه الترجمة الى جزء آخر

﴿ المطبوعات الجديدة ﴾

لدينا كثير من مطبوعات السنتين الماضيتين — على قلة المطبوعات في هذا الزمن — لم
تفرغ للنظر في شيء منها لتبين مزيته، أما وقد طال الأمد فسند ذكرها بالاختصار، وأقل
حقوق أصحابها الاعلان، ونبدأ بذكر حجتين مصريتين:

﴿ المجلة السلفية ﴾ « علمية أدبية اخلاقية تاريخية اجبا عيه تصدر مرة في كل شهر،
صاحبها ومديرها عبد الفتاح (افندي) قنلان » سنتها عشرة أشهر بقيمة الاشتراك فيها ٢٠
قرشاً في القطر المصري و٨ فرنكات في الخارج تدفع مقدماً. وقد تمت سنتها الاولى فكانت
٢١٦ صفحة وأكثر ما نشر فيها مختارات من الكتب العربية للشيخ طاهر الجزائري.
وهذا وجه تسميتها بالمجلة السلفية

﴿ الحال ﴾ جريدة اخبارية اقتصادية تضائية تاريخية تصدر ثلاث مرات في
الاسبوع. صاحبها ومديرها خليل بك صادق بقيمة الاشتراك فيها مائة قرش في السنة. وفاته
ان يذكر في صفحتها انها فكاهية فروح فكاهة صاحبها، تجلى في كل ما ينشر فيها.



المجلد العشرون

٢٠٩

ج ٥

الجزء

أوفى بوفيق الحكمة من بناء ومن بون الحكمة فقد
أوفى خبرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألبار

المعجم
١٣١٥

وشر عادي الدين يستعملون القول فينبون أوفى
أولئك الذين هداهم الله أولئك هم أولو الألبار

«قال عليه السلام: إن الإسلام يسمى و «منارا» كنار الطريق»

٣٠ ربيع الأول ١٣٣٦ — ٢٢ الجدي (ش ١) ١٢٩٦ هـ ١٣ يناير ١٩١٨

فَتَاوَى الْمُنَافِقِينَ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قد منأماخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها ﴾

(س ٩) من صاحب الامضاء الرمزي في سنغافوره

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

ماقول الاستاذ المرشد مولانا السيد محمد رشيد رضا أرشده الله ورضي عنه في

حكم عمل الصور من الجص والاحجار والمعادن مجسمة - وفي حكم عملها بالحفر

[المناز: ج ٥ م ٢٠] الاحاديث الصحيحة في التصوير والصور ٢٢١

أو القلم أو بآلة حبس الظل (الفوتغراف) غير مجسمة، هل هو جائز مطلقاً أو في بعض الصور وما الدليل على ذلك ؟

وهل يقولون بحرمة ما صنع للعبادة والتمظيم فقط أم تذهبون الى كون التحريم خاصاً بالزمن المتقدم خوفاً من ان يكون ذريعة الى عبادة الصور اما الآن فلا يحرم لانسداد الذريعة ؟ وهل يدل على ذلك ترك الصحابة ما وجدوه في ايوان كسرى من الصور مع صلاحهم فيه لانها لمحض الزينة ام لا ؟ وما حكم الاقتناء لها ولو للحاجة والنظر ولو لضرورة عسر الاحتراز او لكونها عند من لا يحرمها ؟

افتونا على صفحات مناركم مأجورين ، ولا زاتم قبلة الافادة وللصواب موقفين ، وبإمداد الله معانين . — حرره في سنة فوره — د ه ن

(ج) سبق لنا قول وجيز في هذه المسألة وقتضت الحال الآن بسط المسألة بالتفصيل وهو يتوقف على ايراد الاحاديث الصحيحة الواردة فيها وملخص ما فهمه العلماء المشهورون منها . وقد استوفى الامام البخاري جل ذلك في كتاب اللباس من صحيحه فنعمت في النقل على ما ورد فيه فنذ كره بغير عزو اليه غالباً ونعزو ما نقله عن غيره لزيادة فائدة فيه ونعتمد في تلخيص أقوال العلماء على ما أورده الحافظ ابن حجر في الفتح فانه أجمع الكتب التي نعرفها لذلك ولا مثاله ، وان قلنا شيئاً عن كتاب آخر نعزوه اليه

﴿ الاحاديث الصحيحة في التصوير والمصورين ﴾

١ — عن مسلم (هو ابن صبيح أبو الضحى واشتهر بكينته) قال كنا مع مسروق في دار يسار بن نمير (هو مولى عمر بن الخطاب وروى عنه) فرأى في صفته (هـ) تماثيل فقال سمعت عبدالله (هو ابن مسعود) قال سمعت النبي (ص) يقول « ان أشد الناس عذاباً عند الله المصورون » وفي رواية مسلم : كنت مع مسروق في بيت فيه تماثيل فقال مسروق هذه تماثيل كسرى فقات لا هذا تماثيل مريم . ثم ذكر الحديث

﴿ الصفة بضم الصاد وتشديد الفاء كالطلة وزنا ومعنى وتطلق على المكان المظلل بفناء الدار أو المسجد وعن الليث انها مكان كالبهو مظلل مستطيل

٢٢٢ الاحاديث الصحيحة في التصوير والصور [المثار : ج ٥ م ٢٥]

٢ - عن ابن عمر (رض) ان رسول الله (ص) قال « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم احيوا ما خلقتم »

٣ - عن ابن عباس انه جاءه رجل فقال لي اصور هذه الصور فأفتني فيها فقال سمعت رسول الله (ص) يقول « كل مصور في النار . يجعل له بكل صورة نفسا فعذبه في جهنم » وقل فان كنت لا بد فاعلما فاصنع الشجر والا نفس له . ورواه مسلم وأحمد وفي بعض الروايات ان السائل رجل من أهل العراق أراد نجارا . وفي بعضها انه قال له انما معيشتي من صنعة يدي ، وانه عندما ذكر له الحديث انتفخ غبظا فرخص له بما ذكر . واصل المرفوع في رواية أخرى « من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة ان ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » قال الحافظ بن سعد في رواية أبي سعيد ابن أبي الحسن « فان الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا » واستعمال حتى هنا نظير استعمالها في قوله تعالى (حتى يبلج الجبل في سم الحياط) وكذا قولهم لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب . ثم ذكر ان هذا أمر تعجز لا من تكليف مالا يطاق . وانه استشكل في حق المسلم لانه يدل على الخلود وانه يتعين تأويله بإرادة لزجر الشديد وأن ظاهره غير مراد . ما ذكره الحافظ . لمخصا . وأقول لا ولي ان يحمل على المشركين الذين يصنعون ما يعبد لعبادته كما يعلم مما يأتي

٤ - عن عمران بن حطان ان عائشة (رض) أخبرته ان النبي (ص) لم يكن يترك في بيته شيئا فيه نصاليب لا تقص

التصاليب جمع تصليب وهو مصدر سمي به ما كان فيه صورة الصليب من ثوب أو غيره ، وتقضه أزاله ، والازالة تكون بنحو الطمس والحك والاطخ والقطع . وقد ذكر البخاري هذا الحديث في (باب نقض الصور) وذكر الحافظ في وجه مطابقة الحديث للترجمة انه استنبط من نقض الصليب نقض الصورة التي تشترك مع الصليب في المعنى الذي هو سبب التحريم وهو عبادتهما من دون الله

٥ - عن أبي زرعة قال دخلت مع أبي هريرة دارا بالمدينة فرأى في أعلاها مصورا بصور فقال سمعت رسول الله (ص) يقول « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة »

[النار : ج ٥ م ٢٠] دخول مكان فيه كلب أو صورة امتناع الملائكة من ٢٢٣

في هذه الرواية حذف علم من رواية أخرى وهو « قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق » الخ رواها مسلم . وفيها ان الدار دار مروان وفي رواية له : تبني لسعيد أولمروان . قال ابن بطال فهم أبو هريرة ان التصوير يتناول ماله ظل وما ليس له ظل فلماذا أنكر ما ينقش في الحيطان . يعني ابن بطال ان هذا الفهم غير صحيح من حيث ان التشبيه في الحديث القدسي لا ينطبق عليه فان الله تعالى خلق ذوات مائة لا نقوشا في الحيطان ونحوها . ويمكن ان يقال أيضا ان صنم التماثيل ذات الظل التي شددوا فيها لا تعد من هذا الظلم الا اذا قصد صانعها أن يخلق كخلق الله ، وقد فسروا «ذهب يخلق» بقصد وهو رواية حديث ابن فضيل . ويؤيده حديث عائشة الآتي (وهو التاسع) اذ قال : بضاؤون بخلق الله . وفي رواية مسلم : يشبهون بخلق الله . وانما يكون هذا بالقصد .

٦ - عن ابن عباس عن أبي طلحة (رض.) قال قال رسول الله (ص) «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاوير»

٧ - عن عبد الله بن عمر قال : وعد جبريل النبي (ص) فراث (أي أبطأ) عليه حتى اشتد على النبي (ص) فخرج فلقية فشكا اليه ما وجد فقال «إنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب» هكذا أخرجه البخاري مختصرا . وهو عند مسلم من حديث عائشة وميمونة أوضح وفي الاول ثم التفت فاذا جرو كلب تحت سريره فقال «يا عائشة متى دخل هذا الكلب هنا؟» فقالت والله ما دريت به ، فأمر به فأخرج فجاء جبريل الخ وفي الثاني : ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ما . فنضح مكانه فلما أمسى لقيه جبريل الخ وظاهر الحديثين ان امتناع جبريل كان بسبب وجود الكلب اذ ليس فيهما ذكر للصورة ، وفي الاول انه رأى الكلب عرضا ولم يكن هالما بوجوده وفي الثاني انه كان هالما به وتذكره بعده إبطاء جبريل . وفيهما الخلاف بين السرير والفسطاط والاول معروف والثاني بيت من شعر دون السرايق وقال النووي أصله عمود الاخوية والمراد به في الحديث بعض حبال البيت فيطابق حديث عائشة اه بالمعنى . وفي القصة حديث أبي هريرة عند أحمد وأبي داود والنسائي والترمذي وصححه كابن حبان والحاكم وهو :

٢٢٤ الاحاديث الصحيحة في التصوير والصور [المنار : ج ٥ م ٢٠]

« أتاني جبريل فقال أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت الا أنه كان على الباب تماثيل وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل ، وكان في البيت كلب . فر برأس التمثال الذي على باب البيت بقطع فيصير كهيئة الشجرة ، ومر بالستر فليقطع فليجمل منه وسادتان منبوذتان توطآن ، ومر بالكلب فليخرج » ففعل رسول الله (ص) وإذا الكلب جرو كان للحسن والحسين تحت نضد لهم . وفي رواية النسائي « إما ان تقطع رموسها وما ان تجمل بسطا توطأ » والنضد بفتحيتين ما ينضد من متاع البيت يجمل بعضه فوق بعض وما ينضد عليه ذلك المتاع من سرير وغيره فهو بطابق حديث عائشة من هذا الوجه

ظاهر هذا الحديث ان الواقعة كانت في بيت علي وفاطمة وظاهر حديث كل من عائشة وحفصة انها كانت في بيتها .

ومن الاضطراب في هذه الروايات ان حديث ابن عمر صريح في ان النبي (ص) خرج فلقى جبريل خارج البيت وظاهر حديث عائشة ان جبريل دخل البيت بعد اخراج الكلب ، وصرحت عائشة وحفصة بأنه (ص) أمر باخراج الكلب قبل لقاء جبريل بهدرويته أو تذكره وصرح أبو هريرة بأن جبريل هو الذي أخبره به واقترح عليه اخراجه وعادة العلماء ان يجمعوا بين أمثال هذه الروايات المتعارضة بتعدد الوقائع ، وعليه يرجح أن يكون ما رواه أبو هريرة وقع أولا فلم منه النبي (ص) ان جبريل لا يدخل مكانا فيه كلب ولذلك أمر باخراج الكلب بعد ذلك لما رآه أو تذكره له مما سبق انه هو سبب تأخر جبريل ولكن في حديثي عائشة وحفصة عند مسلم ان النبي (ص) لم يكن يعلم سبب تأخر جبريل عليه السلام لانه سأله عنه فقال في حديث عائشة « منعي الكلب الذي كان في بيتك إنا لا ندخل الخ

وذكر النووي في سبب الامتناع أربع علل (١) كثرة أكل الكلاب للنجاسات (٢) قبح رائحتها أي رائحة بعضها (٣) ان بعضها يسمى شيطانا وهو الاسود القبيح المنظر (٤) الهي عن اتخاذها ، ولهذا الاخير قال الخطابي ان الامتناع خاص بما نهى عنه دون المأذون فيه ككلب الماشية والزرع والصيد وخافه النووي فقال بالتعميم في الكلاب ولكنه خص الملائكة بملائكة الرحمة

- ٨ - عن أنس (رض) قال كان قرام لمبشة سترت به جانب بيتها قال لها النبي (ص) «أمبطي غني فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي» أمبطي أي نحى وازيلي وفيه حذف المفعول ورواية مسلم «أزيلي»
- ٩ - عن عائشة (رض) قالت : قدم رسول الله (ص) من سفر وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيه تماثيل فلما رآه رسول الله (ص) هتكه وقال «أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله» قالت فجعلناه وسادة أو سادتين وفي رواية للبخاري في المظالم قالت فأنخذت منه مرققين فكاتنا في البيت بجلس عليهما. وفي رواية لمسلم فجعلته مرققتين فكان يرتقى بهما في البيت . وفي لفظ أحمد : فقطعته مرققتين فلقد رأيت منكم شاعلى إحداها وفيها صورة ، والخرقة والمرققة الوسادة كما سيأتي
- ١٠ - وعنها أنها اشترت خرقة فيها تصاوير فقام النبي (ص) بالباب فلم يدخل (قالت) فقلت أتوب الى الله مما أذنبت . قال «ما هذه الخرقة؟ قلت لتجلس عليها وتوسدها» قال «ان أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقل لهم أحيوا ما خلقتم ، وان الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصور» وفي رواية مسلم «اشتريتها لك تقعد عليها وتوسدها . والفقرة المرفوعة منه» ان البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»
- ١١ - وعنها قالت : قدم النبي (ص) من سفر وعلقت درنوكا فيه تماثيل فأمرني أن أنزعه فنزعته ، هذا لفظ البخاري . ولفظ مسلم : وقد سترت على بابي درنوكا فيه الخيل ذات الاجنحة . وفي لفظ آخر عنده : دخل النبي (ص) علي وقد سترت نمطا فيه تصاوير فنحاه فأنخذت منه وسادتين . وستور الدرنوك والنمط جنس واحد كما سيأتي
- ١٢ - عن بشر بن سعيد عن زيد بن خالد (الجهني الصحابي) عن أبي طلحة (زيد بن سهل الانصاري) صاحب رسول الله (ص) قال ان رسول الله (ص) قال «ان للملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة» (وفي نسخة الصور وفي أخرى صور) قال بشر ثم اشتكى زيد (أي ابن خالد) فعدناه فاذا على بابه ستر فيه صورة (وفي نسخة صور) فقلت لمبيد الله الخولاني ربيب ميمونة زوج النبي (ص) (وكان مع بشر) : ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الاول؟ (وفي نسخة يوم أول) فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال «الارقا في ثوب» قال الحافظ : في رواية عمرو بن الحارث :
- (المنار: ج ٥) (٢٩) (المجلد العشرون)

فقال انه قال «الارقا في ثوب» الاسمعة؟ قلت لاه قال بلى قد ذكره . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي

١٣ - وروى مسلم وأبو داود عن زيد بن خالد عن أبي طلحة الانصاري قال سمعت رسول الله (ص) يقول «لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل» قال فأتيت عائشة فقلت ان هذا يخبرني ان النبي(ص) قال لاتدخل الملائكة... «الح» فهل سمعت رسول الله(ص) ذكر ذلك؟ فقالت لا ولكن سأحدثكم ما رأيته فعل - رأيته خرج في غزاة فأخذت نمطا فسترته على الباب ، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهية في وجهه ، فجذبه حتى هتكه أوقطعه وقال « ان الله لم يأمرنا ان نكسو الحجارة والطين » قالت فقطعنا منه وسادتين وحشوثهما ليفا فلم يعب ذلك علي

قالوا ان هذا النمط هو الذي فيه الخيل ذات الاجنحة كما تقدم آنفا من رواية أخرى عند مسلم وذكر النووي ان العلماء استدلوا به على منع ستر الحيطان وتنجيد البيوت بالثياب وهو منع كراهة تنزيه لا تحريم ، هذا هو الصحيح . ثم رد على من حرمه وأقول : الظاهر أن هذا الحديث معارض لتلك الأحاديث اذ ليس فيه أنه أنكر الصور التي في النمط ويمكن ان يقال ان هذا وقع قبل امتناع جبريل من دخول البيت لوجود التماثيل والكلب فيه ، الا ان عائشة حدثت بهذا وبغيره بمدرس رسول الله(ص) فلمسألة مشكلة من هذا الوجه . ومثله حديث أنس عند البخاري (وهو الثامن مما أوردنا) ففيه أنه(ص) أمرها بإمالة القرام لان تصاويره تعرض له في صلاته ، فعلة الامر بازله أنه بشغل نظر المصلي اليه، وجههير الفقهاء متفقون على كراهة الصلاة الى ما يشغل المصلي، ولا دليل فيه على انكار الصور أو تحريم اتخاذها . ومثله حديثها في الدرنوك (وهو الحادي عشر) ولكن ليس فيه تصريح بالعلة . ومثله حديثها عند مسلم في الثوب الممدود الى السهوة . وأما حديثها في القرام (وهو التاسع) وحديثها في النمرقة (وهو العاشر) فهم اصر ببحان في إنكار اتخاذ الصور بتلك الهيئة . وقد استشكل ذلك العلماء وأجاب بعضهم عنه بتعدد الوقائع وبأن الصور في بعضها من غير ذوات الارواح وهي التي لم ينكرها وفي بعضها من ذوات الارواح كالطير والخيل وهي التي أنكرها . ويقال هنا أيضا ما قلناه في حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة ، وهو

[المنار : ج ٥ م ٢٠] الجمع بين الأحاديث المتعارضة في التصاوير ٢٢٧

أن عائشة كانت تحدث بذلك بعد رسول الله (ص) فلماذا كانت تذكر كل واقعة وحدها ولم تبين لكل سائل أو محدث كل ما علمته في المسألة؟ وهل يعقل أن ينكر النبي (ص) على عائشة عملا علمته في بيته فتزيله بأمره ثم تعود إلى فعله؟ كلا إن الروايات في هذه المسألة مضطربة ولم نر لاحد من العلماء قولاً شافياً فيها . والذي نراه أقرب إلى الوقوع أن عائشة كانت علقت على الجدار سترافيه تصاوير للزينة فأنكر النبي (ص) ذلك من باب الارشاد إلى ما يستحسن في تدبير المنزل وهو عدم إضاعة الثوب بوضعه على الجدار وضعا لا فائدة فيه لأن الثياب لستر الأبدان وزينتها لا لستر الحجر والطين . ويحتمل أن يكون هذا هو الذي وقع أمامه في صلاته وأنه علل أمره بإزالته بكونه يشغل النظر في وقت الصلاة وبكونه اسرافا وإضاعة للثوب وإن عائشة ذكرت كل تعليل مرة في سياق كلام اقتضاه ، أو ذكرتهما معا وذكر الرواة كلا منهما في سياق اقتضاه ، ويحتمل أن يكون الحديثان في واقعيتين علل الانكار في الأولى منها يشغل النظر في الصلاة وإن السر كان في الثانية بحيث لا يراه في الصلاة ، وكل حديث في هذا الباب لم تنكر أو لم تذكر فيه التصاوير فهو محمول على تلك الواقعة أو الوقتين . وأما الروايات التي فيها التصريح بانكار اتخاذ التصاوير بتلك الصفة فالأقرب أنها في واقعة واحدة كانت بعدما تقدم ، وإنها علقت النمرقة في غيبته إذ كان مسافرا فلما عاد ورآها أنكر عليها وامتنع من دخول البيت حتى تنزعها فلما تابت دخل وهتكها بيده أي أزالها إلا أن الإخبار بها كان في أوقات مختلفة فاختلف التعبير باللفظ والمعنى . ومن الأول القرام والنمط والدرونك والنمرقة والوسادة والمرفقة (*) ويدل على هذا الجمع قولها : أتوب إلى الله

(*) القرام بالكسر ستر فيه نقوش وتصاوير . وقيل توب من صوف ملون يفرش في الهودج أو يغطى به . والنمط قال النووي في شرح معالم المراد به هنا بساط ليف له خل . والدرونك بالضم كصفة رتوب غايظ له خل إذا فرش فهو بساط وإذا علق فهو ستر . والنمرقة بضم النون والراء — وكثيرها لثة كلب — الوسادة يجلس عليها وتوضع على الرجل تحت الراكب لايتها وتتوسد أيضا فتسمى وسادة والوسادة بثلاث إذا أو التخذة التي تتوسد في النوم أي بوضع عليها الرأس وتسمى مخدة بكسر الميم لأنها بوضع عليها عند النوم . وتسمى مرفقة ومرفقا بكسر الميم وفتح الفاء لأنها بوضع عليها المرفق عند الانكسار ، فاختلاف الاسماء لاختلاف الاستعمال =

مما أذنبت . فلو لا النهي السابق لم يكن تعليقها النمرقة ذنباً تتوب منه . ولكن في بعض روايات الصحيح أنها قالت : فما أذنبت . ولعل هذا غلط من بعض الرواة

١٤ — عن عائشة (رض) قالت : كنت ألعب بالبنات عند النبي (ص) وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله (ص) اذا دخل يتقمن منه (أى يستترن) فيسربهن (أى يرسلهن) اليّ فيلعبن معي . أخرجه البخاري في كتاب الادب من الصحيح

وقد حرف بعض المشددين في مسألة الصور هذا الحديث فزعم ان معنى قولها كنت ألعب بالبنات — كنت ألعب مع البنات . قال الحافظ في شرح الحديث : حكاه ابن التين عن الداودي ورده (قلت) ويرده ما أخرجه ابن عينة في الجامع من رواية سعيد بن عبد الرحمن الخزومي عنه عن هشام بن عروة في هذا الحديث : وكن جوارى يأتين فيلعبن معي . وفي رواية جرير بن هشام : كنت ألعب بالبنات وهن اللعاب . أخرجه أبو عوانة وغيره . وأخرج أبو داود والنسائي من وجه آخر عن عائشة قالت : قدم رسول الله (ص) من غزوة تبوك أو خيبر — فذكر الحديث في هتكه السر الذي نصبته على بابها قالت : فكشف ناحية السر عن بنات لعائشة لعب فقال « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت بناتي ، ورأى فيها فرساً مربوطاً له جناحان فقال « ما هذا ؟ قلت فرس ، قال « فرس له جناحان ! » قلت ألم تسمع انه كان لسليمان خيل لها أجنحة ؟ فضحك . فهذا صريح في ان المراد باللعب غير الألعاب اذ مات اه

١٥ — عن عائشة (رض) قالت لما اشتكى النبي (ص) — أي مرض مرض الموت — ذكر بعض نسائه كنيسة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتيا أرض الحبشة فذكرتا من حسنهما وتساویر فيها فرفع رأسه فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » أخرجه البخاري في أبواب المساجد وفي الجنائز وأخرجه مسلم في المساجد

== وقد كان يختلف السمي بالكبر والصغر كما يختلف الآن وهو جنس واحد تحديد معناه أنه شبه كبش من نسيج يوضع فيه نحو قطن أو صوف أو ليف ويخاط عليه . ومنه ما يصنع أولاً وبالذات للنوم ومنه ما يصنع للانكاه أو الجلوس . ثم يستعمل لغير ذلك عند الحاجة

[المنار : ج ٥ م ٢٠] أقوال العلماء في فقه هذه الاحاديث . التصاوير ٢٢٩

﴿ أقوال العلماء في فقه هذه الاحاديث ﴾

(١) قال الحافظ عقب ذكر حديث أبي هريرة المتقدم عن أحمد وأصحاب السنن مانصه : وفي هذا الحديث ترجيح قول من ذهب الى ان الصورة التي تمتنع الملائكة من دخول المكان التي تكون فيه هي ما تكون على هيئتها مرتفعة غير ممتنه . فأما لو كانت ممتنه أو غير ممتنه لكنها غيرت عن هيئتها إما بقطعها من نصفها أو بقطع رأسها فلا امتناع

(٢) ثم قال الحافظ في إثر ما تقدم : وقال القرطبي ظاهر حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة الماضي قبل (وهو التاسع مما قلناه عن البخاري) أن الملائكة لا تمتنع من دخول البيت الذي فيه صورة ان كانت رقما في الثوب ، وظاهر حديث عائشة المنع . ويجمع بينهما بأن يحمل حديث ثمة على الكراهة وحديث أبي طلحة على مطلق الجواز وهو لا ينافي الكراهة . (قال الحافظ) قلت وهو جمع حسن لكن الجهم الذي دل عليه حديث أبي هريرة روى عنه والله أعلم

(٣) قال الحافظ عند الكلام على حديث التمرقة : قال الرافعي وفي دخول البيت الذي فيه الصورة وجهان قال الاكثر يكره وقال أبو محمد بحرم . فلو كانت الصورة في ممر الدار لا داخل الدار كما في ظاهر الحمام أو دهابزها لا يمتنع الدخول . قال وكان السبب فيه ان الصورة في الممر ممتنه وفي المجلس مكرمة . (قلت) وقضية إطلاق نص المختصر وكلام الماوردي وابن الصباغ وغيرهما لا فرق اهـ

(٤) اختلفوا في الملائكة التي لا تدخل بيتا فيه صورة ولا كلب قليل هو على العموم وقيل هو خاص بملائكة الرحمة وتقدم عن النووي وصرح هؤلاء بأنه يستثنى منه الحفظة ، وقيل من نزل بالوحي خاصة كجبريل (قال الحافظ) وهذا نقل من ابن وضاح والداودي وغيرهما وهو يستلزم اختصاص النهي بعهد النبي (ص) لان الوحي انقطع بعده وباقتطاعه انقطع نزولهم . وقيل التخصيص في الصفة أي لا تدخله الملائكة دخولهم بيت من لا كلب فيه

(٥) قال الحافظ : وأغرب ابن حبان فادعى ان هذا الحكم خاص بالنبي (ص)

٢٣٠ تماثيل سليمان وشرع من قبلنا في الصور [المنار: ج ٥ م ٢٠]

قال وهو نظير الحديث الآخر « لا تصحب الملائكة رقة فيها جرس » — قال —
فانه محمول على رقة فيها رسول الله (ص) اذ محال ان يخرج الحاج والمقتمر لقصد
بيت الله عز وجل على راحل لا تصحبها الملائكة وهم وفد الله انتهى وقد استبعد
الحافظ هذا التأويل وقال انه لم يره لغيره

(٦) قال : وقد استشكل كون الملائكة لا تدخل المكان الذي فيه التصاوير مع
قوله سبحانه وتعالى عند ذكر سليمان عليه السلام (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل)
وقد قال مجاهد كانت صوراً من نحاس أخرجه الطبري . وقال قتادة كانت من
خشب ومن زجاج . أخرجه عبد الرزاق . والجواب ان ذلك كان جائزاً في تلك
الشرعية وكانوا يعملون أشكال الانبياء والصالحين منهم على هبتهم في العبادة ليعبدوا
كعبادتهم ، وقد قال أبو العالية لم يكن ذلك في شرعهم حراماً ثم جاء شرعنا بالنهي
عنه . ويحتمل ان يقال ان التماثيل كانت على صورة النقوش لغير ذات الارواح ،
واذا كان اللفظ محتملاً لم يتعين الحمل على المعنى المشكل ، وقد ثبت في الصحيحين
حديث عائشة في قصة الكنيسة التي كانت بأرض الحبشة وما فيها من التصاوير
وانه (ص) قال « كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا
فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » فان ذلك بشر بأنه لو كان جائزاً في
ذلك الشرع ما أطلق عليه (ص) ان الذي فعله شر الخلق ، فدل على ان فعل صور
الحيوان فعل محدث أحدثه عباد الصور والله أعلم اهـ

أقول: لم يأت الحافظ رحمه الله بشيء يشفي في هذه المسألة والذي يظهر في حل
الاشكال أن وجود التصاوير في مكان ليس ما نعا ذاتياً لدخول الملائكة فيه ، اذ
لو كان كذلك لم يختلف فيه حكم شرائع الانبياء عليهم السلام وأصل دين الله فيهم
واحد وإنما اختلفت شرائعهم بما يختلف ضرره ونفعه وفساده وصلاحه باختلاف الزمان
والمكان . وما ذكره الله تعالى من منته على نبيه سليمان عليه السلام في هذه المسألة
دليل على ان عمل التماثيل له واتخاذها إياها في مبانيه لم يكن فيه مظنة عبادة ولا تشبه
بالمشركين مذكر بعبادتهم مؤنس للمؤمن بها .

ومن العجيب أن يذكر الحافظ في تعاليل ما كان يعمل لسليمان انه كان يعمل

[المنار: ج ٥ م ٢٠] علة تحريم التصوير واتخاذ الصور المعظمة ٢٣١

له صور الانبياء والصالحين الخ وهذا هو أصل البلاء في عبادة الصور والتماثيل فقد روى البخاري وغيره ان أصنام قوم نوح وأوثانهم المذكورة في سورة نوح صارت الى العرب وان أسماءها كانت أسماء رجال صالحين فلما ماتوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون اليها انصبا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تمبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت . ويؤيد هذا حديث عائشة في قصة الكنيسة وقد تقدم ، فالنصارى قد اتبعوا سنن سلفهم من الروم واليونان في اتخاذ الصور والتماثيل فكانوا يجعلون صور الانبياء والصالحين في المعابد وغيرها وهي التي ذمهم الرسول (ص) بها ولم يذمهم على اتخاذ صور الملوك والقواد والوالدين والاولاد وغيرهم مما لا شبهة فيه على العبادة ولا دخل له في الدين . فمن العجيب ان يغفل المستنبط عن علة الشيء الصريحة ويتخذ له علة أخرى يفسر بها النصوص ليجمع بينها فيحمل الشيء على ضد المراد . على ان الحافظ ذكر حديث الكنيسة المصرح بالعلة الصحيحة ولكنه لم يرد به ما ذكره قبله

وقد وقع مثل هذا لبعض المؤلفين المقلدين في تشريف القبور بالبناء ووضع الستور عليها فحمل النهي عن ذلك في الاحاديث على ما لم يقصد به تعظيم الميت الصالح أي لانه اضاءة للمال وأباح ما اتبع به الخلف الصالح سنن من قبلهم من بناء القبور الصالحين ووضع الستور عليها اذا كان المراد به تعظيمها قياسا على أستار الكعبة ١١ وهو قياس مصادم للنص مبطل له نقض لعلة ذاهب بحكمته ، فان الخطر على أصل الدين وهو التوحيد إنما هو في تعظيم قبور الصالحين لانه أدى عبادتها بالتعظيم والطواف والتسبح ودعاء الموتى ، و « الدعاء هو العبادة » كما ثبت في الحديث عند أحمد وأصحاب السنن وغيرهم . وقد بسطنا الكلام في هذه المسألة مرارا

(٧) نقل الحافظ في شرح حديث عبد الله بن مسعود - وهو الاول مما أوردنا - عن الخطابي أقدم شراح البخاري انه قال فيه : إنما عظمت عمومة المصور لان الصور كانت تعبد من دون الله ، ولان النظر اليها يقين و بعض النفوس اليها تميل ، قال والمراد بالصور هنا التماثيل التي لها روح اه

أقول : التعليل الاول هو الصحيح الذي يؤخذ من مجموع النصوص واقتصر عليه

٢٣٢ السرور بحال المخلوقات محمود لا مذموم [المنار: ج ٥ م ٢٠]

المحققون، وأما دعوى الافتتان بجمالها وهذا لا يقع الا نادرا فلا يبنى عليه مثل هذا الوعيد الشديد، وإنما بظهور وجهه اذا أريد به الافتتان الديني الذي كان عليه الكفار وهو يرجع الى التعليل الاول . ومن العجيب أن يجعل الميل والاستحسان لبعض خلق الله والسرور به مذموما شرعا ومقتضيا لتحريم الاستمتاع به وان لم يترتب عليه ترك فريضة ولا ارتكاب معصية . فليحرموا اذا النظر والتأمل في زينة الكواكب النيرات ، والجنات معروشات وغير معروشات ، وجمال رياض الازهار ، ومحاسن حدائق الاشجار ، وسماح خبر بر المياه ونفحات الاطيار، وغير ذلك من صنع الله (الذي أتقن كل شيء) الذي أحسن كل شيء خلقه) وماذا يفعلون بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، لمن سأله عن حب الزينة في اللباس (ان الله جميل يحب الجمال) ؟ رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود وغيرهما عن غيره أيضا

(٨) ثم قال بعد ثقل ما تقدم عن الخطابي : وقيل يفرق بين العذاب والعقاب فالعذاب يطلق على ما يؤلم من قول أو فعل كالعتب والانكار والعقاب يختص بالفعل . فلا يلزم من كون المصور أشد : أن عذابا أن يكون أشد الناس عقوبة . هكذا ذكر الشريف المرتضى في التبيين وتب بالآية المشار اليها وعليها انبنى الاشكال ولم يكن هو عرج عليها فلهذا ارتضى التبرقة والله أعلم

(قال) واستدل به أبو علي الفارسي في التذكرة على تكفير المشبهة بحمل الحديث عليهم وأنهم المراد بقوله « المصورون » أي الذين يعتقدون ان لله صورة . وتعقب بالحديث الذي بعده في الباب بلفظ « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون » وبحديث عائشة الآتي بعد بابين بلفظ « ان أصحاب هذه الصور يعذبون » وغير ذلك ، ولو سلم له استدلاله لم يرد عليه الاشكال المقدم ذكره — أي معارضة الآية للحديث — اهـ وحديث الباب الذي أشار اليه هو الثاني مما أوردنا

وأقول : كان يمكن لأبي علي أن يجيب عن هذا لو أورد عليه بحمل حديث « ان أشد الناس عذابا عند الله المصورون » في الذين يعملون لله تعالى صورة مماثلة لصور بعض المخلوقات، ويجيب عن معارضة الآية بتقدير « من أشد » ويتفصى بذلك من جعل التصوير ككفر آل فرعون مشاركا له في مثل عقابه ، ومعلوم من أصول الشريعة

[المنار: ج ٥ م ٢٠] اباحة تماثيل اللب والحلوى والنفخار وما لا ظل له ٢٣٣

المجمع عليها أن ماورد النص تسميته أكبر الكبائر هو دون أشد الكفر بالشرك بالله ومعاداة رساله كفر آله فرعون ، اذ كل كبيرة من هذه الكبائر التي هي أعظم جرما من التصوير المحرم يجوز أن تغفر ولا يعذب صاحبها أصلا ، فكيف يحرم بأن لمصورين أشد الناس أو من أشدهم عذابا كآل فرعون . وأما كونهم يعذبون فلا مر فيه دون ذلك ، ولا سيما على قول من فرق بين العذاب والعقاب فلم يجعل كل عذاب عقابا

(٩) من أشد الفقهاء تشديدا في التصوير واتخاذ الصور أبو بكر بن العربي من المالكية والنووي من الشافعية . وقد جزما بتحريم التصوير مطلقا لخص الاول الاقوال في اتخاذ الصور فقال : حاصل ما في اتخاذ الصور انها ان كانت ذات أجسام حرم بالاجماع وان كانت رقما فأربعة أقوال الاول يجوز مطلقا على ظاهر قوله في الحديث « الا رقما في ثوب » الثاني المنع مطلقا حتى الرقم الثالث ان كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم وان قطعت الرأس أو تفرقت الاجزاء جاز - قال وهذا هو الاصح - الرابع ان كان مما يمتن جاز وان كان معلقا لم يجز اهـ ونوزع في دعوى الاجماع فيما له ظل واستثنى الجمهور لب البنات كما تقدم وفيه بحث سيأتي قريبا (١٠) قال الحافظ في شرح حديث الدرر نوک : واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ الصور اذا كانت ممالا ظل له وهي مع ذلك مما يوطأ ويداس أو يمتن بالاستعمال كالنخاد ولوسائد قال النووي : وهو قول جمهور العلماء من الصحابة والتابعين . وهو قول الثوري ومالك وأبي حنيفة والشافعي ، ولا فرق في ذلك بين ما له ظل وما لا ظل له ، فان كان معلقا على حائط أو ملبوسا أو عمامة أو نحو ذلك مما لا يمد يدها فممنها فهو حرام . ثم ذكر الحافظ مؤاخذات فيما نقله النووي (منها) حكاية ابن العربي تحريم ماله ظل بالاجماع ، وقال ان محله في غير لب البنات ، وان القرطبي حكى فيها لا يتخذ للبقاء كالنفخار قواين أظهرهما المنع ، وجعل إلحاق ما يصنع من الحلوى بالنفخار ولب لب البنات محل تأمل (ومنها) ان مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب ولو كان معلقا الا ان يكون على جدار فيمنع . أي عملا بحديث « ان الله لم يأمرنا ان نكسو الحجارة والطين »

٢٣٤ القاسم بن محمد . مذهبه في اتخاذ الصور [المنار : ج ٢٠ م ٥]

(١١) قال النووي : وذهب بعض السلف الى ان الممنوع ما كان له ظل وأما لا ظل له فلا بأس باتخاذ مطلقا ، وهو مذهب باطل فان الستر الذي أنكره النبي (ص) كانت الصورة فيه بلا ظل بغير شك ومع ذلك فأمر بنزعه (قال الحافظ متعبا للنووي) قلت المذهب المذكور نقله ابن أبي شيبة عن القاسم بن محمد بسند صحيح ولفظه عن ابن عون قال : دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة في بيته فرأيت في بيته حجلة فيها تصاوير القندس والعنقاء . ففي اطلاق كونه مذهبا باطلا نظر اذ يحتمل انه تمسك في ذلك بعموم قوله « الا رقما في ثوب » فإنه أعم من أن يكون معلقا أو مفروشا ، وكأنه جعل انكار النبي (ص) على عائشة تعليق الستر المذكور مركبا من كونه مصورا ومن كونه ساترا للجدار . ويؤيده ماورد في بعض طرقه عند مسلم — وذكر تعليل الحديث المتقدم في ذلك وقال — فهذا يدل على انه كره ستر الجدار بالثوب المصور فلا يساويه الثوب الممتن ولو كانت فيه صورة وكذلك الثوب الذي لا يستر به الجدار ، والقاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة وكان من أفضل أهل زمانه ، وهو الذي روى حديث التمرقة فلولا أنه فهم الرخصة في مثل الحجلة ما استجاز استعمالها . ثم رجح الحافظ ان الرخصة فيما يمتن لافيا كان منصوبا ونقل عن جماعة من علماء السلف القول بذلك ، منها ما روى عن عكرمة : كانوا يكرهون ما نصب من التماثيل نصبا ولا يرون بأسا بما وطئته الاقدام ، وما روى من طريق عروة انه كان يتكى على المرافق فيها تماثيل الطير والرجال اه

[المنار] القاسم بن محمد هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق (رض) أحد أئمة التابعين تربى في حجر عمته عائشة وتفقه بها وروى عن غيرها من الصحابة أيضا ومن أخذ عنه الزهري وريعة شيخ الامام مالك وكثيرون . قال يحيى بن سعيد الانصاري : ما أدركنا بالمدينة أحدا يفضل على القاسم ، وعن أبي الزناد قال : ما رأيت فقيها أعلم من القاسم ، وما رأيت أحدا أعلم بالسنة منه ، وقال سفيان بن عيينة : كان القاسم أعلم أهل زمانه ، وقال ابن سعيد : كان اماما فقيها ثقة رفيعا ورعا كثير الحديث ، قل أيوب السختياني : ما رأيت أحدا أفضل من القاسم . انتهى ملخصا من تذكرة الحفاظ .

[المنار : ج ٥ م ٢٠] كون النهي عن التصوير موقتا أو اسد الذريعة ٢٣٥

(١٢) قال الخطابي في شرح حديث اللعب : ان اللعب بالبنات ليس كاللهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد وإنما أرخص لعائشة فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغ . قال الحافظ عقب نقله : وفي الجزم به نظر لكنه محتمل لان عائشة كانت في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة إما أكلتها أو جاوزها أو قاربتها وأما في غزوة تبوك فكانت قد بلغت قطعا فيترجح رواية من قال في خيبر وبجمع بما قال الخطابي لان ذلك أولى من التماض . اهـ

وأقول : ان هذا ليس بجمع اذ لو كانت لعب البنات محرمة لما أقر النبي (ص) عائشة وصواحبها على اللعب بها وان كن غير بالغات ولما تركها في بيته . والصواب أن هذه اللعب لا تدخل في عموم ما أنكره من الصور المطلقة بل هي أشبه بما أقره من الصور في الوسائد والمرافق في أن كلا منهما لا يشبه ما كان يعبد من الصور والتماثيل (١٣) بعد كتابة ما تقدم كله راجعت ما كتبه الحافظ في شرح حديث كنيسة مارية في الحبشة المقارن في البخاري لحديث لعن أهل الكتاب لانخاذهم قبور أنبيائهم مساجد فاذا هو يقول في شرح الاول في باب هل تنفث قبور المشركين : وإنما فعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان ان أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور وبمعظمونها فاعبدوها . فحذر النبي (ص) عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية الى ذلك ، وفي الحديث دليل على تحريم التصوير وحمل بعضهم الوعيد على من كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الاوثان وأما الآن فلا . وقد أطنب ابن دقيق العيد في رد ذلك كما سيأتي في كتاب اللباس اهـ

ثم قال في شرح الحديث الثاني في باب بناء المسجد على القبر : وقد تقدم ان المنع من ذلك إنما هو في حال خشية ان يصنع بالقبر ما صنع أولئك الذين لعنوا وأما اذا أمن ذلك فلا امتناع . وقد يقول بالمنع مطلقا من يرى سد الذريعة وهو هنا متجه قوي اهـ ويعني بما تقدم قوله في الكلام على ترجمة الباب السابق : ان الوعيد على ذلك يتناول من اتخذ قبورهم مساجد تعظيما ومغالاة كما صنع أهل الجاهلية وجرحهم ذلك الى عبادتهم اهـ (للفتوى بقية)

٢٣٦ رحلة الحجاز . صفة الوقوف بعرفات [المثار : ج ٥ م ٢٠]

رحلة الحجاز

٦

صفة الوقوف بعرفات

بلغنا عرفات في وقت السحر فالفينا الخيام قد ضربت لنا وفرشت فنزلنا فيها ولما طلع النهار وجدنا أنفسنا بالقرب من مسجد الصخرات حيث كان موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ورأينا أكثر الحجاج في هذا الجانب من بسيط عرفات وسائر الجوانب والاجواز خالية وفي بعضها قليل من الحجاج ، ولبعض حجاج الاقطار مواضع خاصة يقفون فيها كل عام كما يرى القارئ في صورة الموقف من الفصل السابق . ويقف كثير من عرب الجزيرة في جبل الرحمة وبصممه كثير من حجاج الاقطار الاخرى كما علم مما تقدم . وكانت خيام الشريف في موضعها المعتاد من وسط ذلك البسيط وكان السبب في بعدها عن مسجد الصخرات وموقف الامام أن يسهل على أي فريق من الحجاج الوصول اليه للزيارة أو الشكوى في زمن قصير

وانني بعد كتابة ماتقدم من وصف عرفات اطلمت على كتاب دليل الحج لمحمد باشا صادق المصري المهندس أحد ضباط أركان الحرب الذي طبع سنة ١٣١٣ فاذا فيه أن مساحة سطح البقعة المستوية من عرفات « كيلو متر مربع » أي نحو ألفي ذراع بذراع الأدمي - وهو من رؤس الاصابع الى المرفق - والذي يتراءى للنظر انه أوسع من ذلك وهذا المكان لايسع مئات الالوف من الحجاج ولكن كثيرا منهم يقفون في جبل الرحمة وفي غيره مما الى ذلك البسيط من الجبال، وجبل الرحمة يرى في المساء مكتظا بالحجاج من سفحه الى قمته . وارتفاعه نحو من ستين ذراعا (٣٠ متر) وطوله قريب من ستمائة ذراع (٣٠٠ متر) كما قال محمد صادق باشا . قال : وأعلى هذا الجبل سطح مستو مباط بالحجر مربع في نحو عشرين مترا وفي وسطه مصطبة طولها سبعة أمتار في (عرض) سبعة وارتفاعها متر ونصف ، وفي ركنها الغربي عمود مربع ارتفاعه أربعة أمتار في عرض مترين يرى من أسفل الجبل

كمنار للطريق اه وأقول ان هذا منار لا كالمنازل ولا يشترط في معنى المنار لغة أن يوضع في أعلاه أو أثنائه نور وإنما هو العلم الذي يهتدى به ، وهذا المنار يراه حجاج الآفاق من الجهات المختلفة

قد فاتنا لقلة الحجاج رؤية منظر من أعظم المناظر المؤثرة في النفس، الحركة لشعور الخشوع والعبودية في القلب، وهو رؤية تلك البقعة الشريفة غاصة بالشعوب الوافدة من جميع أقطار الأرض، ملين دأعين، باكين خاشعين، يجأرون الى الله عز وجل على اختلاف لهجاتهم، الناشئة عن اختلاف لغاتهم، يرددون الاذكار المأثورة بالعربية، ويدعون الله ماشوا بلغاتهم المختلفة.

قال صديقنا محمد ايبك في رحلته بعد وصف عرفات والكلام على الوقوف :
عند وصول الحجاج الى هذا الوادي ينزل ركب المحامين (أي المصري والشامي)
بجناهم قربا من جبل الرحمة، يليهما مضارب الحجاج على اختلاف أجناسهم، وعلى سفح عرفة من عاليه الى جبل الرحمة ترى حجاج الاعراب محتشدين الى جوف الجبل بعضهم فوق بعض كالبنين المرصوص . أما بقي الحجاج فانه ينصب الخيام في بطن الوادي الذي يزدهم اليه الناس حتى لا تكاد ترى فيه مكانا خاليا من واقف وقاعد وجهالم وجرهم مربوطة بجوارهم، وترى الكل في صعيد واحد حتى يتمذر على الانسان السير الى أي جهة أراد ولو لضرورة في نفسه ، ولو كان مولانا الشريف يأمر بتقسيم وادي عرفة الى أحذية أفقية [أي أمكنة متحاذية كالصفوف]
يقسمها شارع رأسي ويخصص كل حذاء لسكنى جماعة من الحجاج وجهالم من ورائهم . وتوضع لذلك علامات من البناء لا يتجاوزها الحجاج في وضع مضاربهم ، ولا الجمالة في ربط جهالم ، ويعين لهذا النظام من يحفظه مع الدقة ، — لكان له شكر الله ولما لثكة والناس أجمعين . وفي سعة الوادي ما يضمن لدولته إقامة الكل على الراحة التامة ، لأن هذا التزامم إنما سببه التقرب من بحرى الماء ومن السوق الذي تراه بجوار مسجد الصخرات (ويباع فيه بعض الاغذية الضرورية)
وربما كان لزامهم سبب آخر وهو خوفهم من الاعراب الذين يكون لهم من ذلك الرحاب عون على النهب والسلب ، وبسبب هذا التزامم بضل الناس عن أمكتهم

إذا تركوها لأمومتها ، ولذلك تراهم ينادون بعضهم [أي أنفسهم] إما بأسمائهم أو بألقاب اصطلاح عليها أهل كل جهة حتى إذا سمعها واحد منهم أجابه بصوت عال وقصد مصدر الصوت . وهذه الحركة لاتكاد تنقطع مدة الإقامة بعرفة . اه وأقول ، اننا لم نشاهد شيئا من ذلك لقلة الحجاج ، وهذا يؤيد ما قلنا من قبل ان التعارف بين الشعوب في عرفة لا يتيسر

وذكر ابن جبير الاندلسي في رحلته ان الجمع الذي كان في عرفات في سنة حجة - وهي سنة ٥٧٩ - لا يشبهه الا الحشر ، وان المحققين من الاشياخ المجاورين زعموا « انهم لم يعاينوا قط في عرفات جمعا أحفل منه ، وانه ما روي من عهد الرشيد الذي هو آخر من حج من الخلفاء جمع في الاسلام مثله . ثم قال : « فلما جمع بين الظهر والعصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشعين باكين ، والى الله عز وجل في الرحمة متضرعين ، والتكبير قد علا ، وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع ، فما رُئي يوم أكثر مدام ، ولا قلوبا خواشع ، ولا أعناقاً لهيبة الله خوانع خواضع ، من ذلك اليوم . فما زال الناس على تلك الحالة والشمس تفتح وجوههم الى أن سقط قرصها وتمكن وقت المغرب وقد وصل أمير الحاج مع جملة من جنده الدارعين ووقفوا بمقربة من الصخرات عند المسجد الصغير المذكور وأخذ السمر واليمنيون مواقعهم بمنازلهم المعلومة لهم في جبال عرفات المتوارثة عن جدّ فجدة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم لاتعدى قبيلة على منزل أخرى ، وكان المجتمع منهم في هذا العام عددا لم يجتمع قط مثله ، وكذلك وصل الأمير العراقي في جمع لم يصل قط مثله ، ووصل معه من أمراء الاعاجم الخراسانيين ، ومن النساء المعاتل المروقات بالخواتين (واحدتهن خاتون) ومن السيدات بنات الامراء كثير ومن سائر المعجم عدد لا يحصى ، فوقف الجميع وقد جعلوا قدوتهم في نفر الامام المالكي لان مذهب مالك رضي الله عنه يقتضي أن لا ينفر حتى يتمكن سقوط القرصة ويحين وقت المغرب ، ومن السرو اليمنيين من نفر قبل ذلك . فلما أن حان الوقت أشار الامام المالكي بيديه ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفعا ارتجت له الارض ورجفت الجبال ، فياله موقفا ما هول مرآه ، وأرحى في النفوس عقباه ، جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه ، ونعمده بنعماءه ، انه منعم كريم حنان منان » اه المراد منه

وقوفنا بعرفة وتأويل رؤيا صادقة

زرت في أثناء النهار الامبر الشريف مع بعض الاخوان فجشت سرادقه راكبا فرسا
بعده عن موقفنا . ورأيت سوق عرفة وهي بقرب مجرى عين زبيدة كما يعلم من الصورة
التي نشرناها . ولما رأيت مجرى عين زبيدة هناك ووجدتها تنحدر بقوة في مجاريها
الواسعة المبنية تذكرت رؤيا كنت رأيتها بمصر قبل ثورة الحجاز وكتبتها وذكرتها
لكثير من الناس : رأيت في جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ اني في مكة المكرمة ومعي رفيق
لي فدخلنا المسجد الحرام ثم أردنا أن نخرج لحاجة لنا فسمعنا أذان العصر فقلت
لرفيقي لا ينبغي لنا أن نخرج وقد أدركتنا الصلاة الا بعد أدائها في المسجد ، وبينما
أنا جالس في المصلى بالقرب من الكعبة المعظمة رأيت الشريف حينما أمر مكة جالسا
أمامي من جهة يميني قريياني واعتقدت انه جاء ليصلي بالناس إماما ، فالتفت الي من
جهة يساره وقال لي أبطأت علينا إنا منذ زمن نتظر قدومك إلينا . وبعد أن خرجنا
— ولم أراه صلى ولا اتنا صلينا معه — رأيت معي بعض رجاله وأنا ذاهبون بأمره الى
أحد دوره — أي غير دار الامارة — لا تكون فيها ضيفا عليه ، وبينما نحن نسير غربا
جنوبيا رأيت في شارع واسع ممتد من الجنوب الى الشمال ماء غزيرا صافيا مندفعا
بقوة في مجرى واسع مبني بالحجارة وله فرع الى الغرب وفرع الى الشرق ، فوقفت
متعجبا من قوة جريان ذلك الماء وقلت في نفسي : اهذا ماء عين زبيدة ؟ ما سمعنا
أحدا من الحجاج ذكره بهذا الوصف ، وهذه القوة في الجريان لا تكون الا بقوة
دافعة كالكهربائية أو البخارية . ورأيت في الطريق دارا جديدة ممتازة بين دور مكة
بيضاها من الخارج علمت انها خاصة بنساء الشريف . وخطر في بالي ان دار الضيافة
التي خصصت لي سأكون فيها مع الشريف عبد الله أحد أنجال الامبر

هذا ما رأيته في نومي قبل ثورة الحجاز بمدة أشهر ولما حدثت الثورة وأعلن
الاستقلال خطر في بالي أنه ربما كان تأويل رؤيائي إصلاح جديد نجا به مكة ويمتد
الى سائر الجهات كامتداد ذلك الماء الذي رأيته فان الله تعالى يقول (وجعلنا من
الماء كل شيء حي) ولما جشت مكة حاجا ظهر لي من تأويل الرؤيا أنه كان معي
رفيق ، وأنني كنت ضيفا للامبر ، وانه رحب بي أحسن ترحيب وكان ينتظر مجيئي ؛

٢٤٠ الحالة الروحية في عرفات [المنار: ج ٥ م ٢٠]

وان دار الضيافة كانت في الجهة الغربية من الحرم الشريف ، وان الشريف عبدالله زارني في هذه الدار ، وانني رأيت دارا بيضاء قبل لي انها دار حرم الامير الخالص ، وان الناس تحدثوا بأنه سييام بالخلافة - والامامة الخاصة ، قد تؤول بالامامة العامة ، وكل منهما كان متوقعا ولم يقع . وأما صدق الرؤيا في مسألة الماء فلم أشاهده في البقعة على نحو ما رأيته في النوم الا في عرفات ، فالجري المبني وطوله ومتداده يشبه الذي رأيت الا ان سرعة اندفاع الماء وقوته كانتا دون ما رأيته في النوم ، والفرق يسير . فهذه الرؤيا من أوضح الرؤى وأجلها تأويلا ، وهي حجة على الذين ينكرون الرؤى الصادقة

الحالة الروحية في الوقوف والنفر

ان الحالة الروحية لا تبلغ الكمال في عرفات ظاهرا وباطنا الا في أصيل ذلك اليوم العظيم ، ففي أول النهار يعرض لأذن الناس شوغل تشغل حواسهم وجوارحهم وأفكارهم . منها ضواريات لكل والشرب ، ومنها رؤية المظفر الجديدة من تلك البقعة نخامة لشعب كثيرة مما يحيط بها من السبل ، فهذه المناظر تشغل كثيرا من الناس بصورتها وتساكن في أول انعيد برويتها ، عن مناهها وحكمة كون السير اليها ولوقوف فيها عبادة لله تعالى ، وفي أثناء النهار يأكل الناس طعامهم ويستريح أكثرهم في خيامهم ومضاربهم أو في ظلال الجبال ولا سيما إذا كان الحر شديدا ، فإذا جاء وقت الصلاة جمعوا منهم يشدو رحالهم وفرغوا قلوبهم لذكر والدعاء وادخروا عند موقف الخطيب من سبل الرحمة . حرصا على سماع الخطبة ، أو لاشترك به لالوف من اخوانهم في التكبير والتلبية ، وقد يراى في الماسك ن السرع لم يعمل امرئة ذكرا ولا دعاء خاصا بل ترك ذلك للأفراد ، ولم يرد ان النبي (ص) كان يلبي بعرفة في الخطبة ولا في غير الخطبة وسكن صح أنه كان يلبي بين المشاعر ذهابا وإيابا وهي منى ومزدانة وعرفة . ودعا إلى زفته بعرفة رافعا يديه ولم يرد في الصحاح نص ذكره ولا دعائه واستسبح الله ذكر ما ورد في النص ف يقول « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخبر والعز على كل شيء قدير » روي عن عدة من الصحابة مرفوعا وأنه خير ما يقال

قضينا جل نهار عرفة بذكر الله والدعاء وتيسر لي والحمد لله الاغتسال فيه .
وصلينا الظهر والعصر جميعا في مسجد الصخرات ، ورأينا هنالك خطيب عرفة وهو
نائب الشرع بمكة وقد صعد بناقته فاستوى على تلك الصخرة من جبل الرحمة ذات
التاريخ الاسلامي العظيم وقد أحاط به الناس وازدحموا من حوله يسمعون منه أحكام
المناسك، ومن دونه ومن فوقه في الجبل ألوف من الناس يشاهد بعضهم بعضا ويراهم من
في السفح ومن في بسطة عرفات كلها لأن الجبل مدرج يشبه ما يتخذ في بعض المدارس
الكبرى من المقاعد ذات الدرج المقوسة التي نسميها الفرنجة (نفيتاترو) وكما لبى
وكبر الخطيب لبي من حوله وكبروا وأشاروا بأطراف أردبتهم البيضاء أو مناديلهم
ويتبعهم في التلبية والاشارة كل من هنالك من قمة لجبل الى سفحه، فلبى سائر الناس
ويكبرون، فيتموج بأصواتهم الهواء، وترنج الجواء، حتى تصل الى عنان السماء، بل
تخترقها حاملة ذلك الذكرواثناء، والضراعة ولدعاء، الى من استوى الى عرشه المجيدة،
وهو أقرب الى عبده من جبل الوريد . فياله من موقف ما أعظمه، وما أصدق من شبهه
بيوم القيامة، وقد يكون التشبيه على أكمله في ذلك المساء، فانه وقت يكون فيه لكل
مؤمن من الشغل بنفسه والتوجه الى ربه، ما لا يمهّد مثله في وقت من أوقات حياته،
يشعر الناس محبطون به من كل جانب — بأنه في خلوة لا يشغله فيها عن ربه شاغل،
ولا يشوب خشوعه له وبكائه من خشيته وسروره بمناجاته ربه ولا سمعة، بل لا يكاد
يخطر بباله أن أحدا هنالك يرى أدا . فما أعجب شأن هذا لاجتماع العظيم الذي
يجمع كل من شهده بإيمان وعرفان، بين مزايا عبادة الخلوة وعبادة شعائر الاجتماع،
بل أقول ان له مزية على سائر الشعائر لا يعرفها لا من ذاقها

وقبل الغروب أقبل الشريف أمير مكة بموكبه الحافل حتى صعد أدنى جبل
الرحمة فكان قريبا من موقف الخطيب وتلاه ركب الحمل المصري . وحينئذ أطلقت
الدافع، وعزفت المعازف، (الموسيقى) واستمد الناس للدفع من عرفة، لاجل ميتة
تلك الليلة بمزدلفة، وبدأ الدفع بعد الغروب . فركبت السيدتان هودجهما، وسار
الرفقة ان الكرماء والخدم مهماء وتفضل السيد لزواوي بارسال نجله السيد عبد الرحمن
مهمم وتهديتاليه أن يذهب بهم الى منى ليلا بعد أداء أدنى ما يجب من المقام بمزدلفة

٢٤٢ المبيت بمزدلفة وبحث قصر الصلاة وجمعها [المنار : ج ٢٠]

ويعبر عنه بالمبيت ، ورائقني هو قد فعنا مما على دابتين فقطعنا ذلك الطريق ، في ذلك الوقت الممدل اللطيف . ونحن نجأر الى الله تعالى بالتلبية والتخير ، ولقد وصفنا تأثير التلبية في الطريق بين جدة ومكة ، وأبن تأثير طريق مكة من تأثير عرفة ؟ وما أبعد الفرق بين حال المبتدى بهذه العبادة - عبادة المناسك - الذي لم يذوق منها الا طعم الاحرام والتلبية ، وبين من شاهد بيت الله عز وجل وطاف به كثيرا وسعى بين الصفا والمروة متذكرا تلك الآيات البينات ، ثم أقام ركن الحج الاكبر وهو الوقوف بعرفة قائملا قلبه إيمانا وعرفانا ، وانثنى بين الالوف من الموحدين يكبر الله على هدايته تكبيرا ، ويكرر التلبية له تكريرا ؟

﴿ المبيت بمزدلفة وقصر الصلاة وجمعها ﴾

الامام بمزدلفة ليلة النحر وذكر الله عند المشعر الحرام (أي فيها) واجب وجعله بعض علماء الاثر ركنا ، وقد ثبت في السنة التعجل بالضعفة كالساء والصبيان بالافاضة من مزدلفة الى منى بعد غياب القمر . وأدنى الواجب الوقوف فيها ليلا لذكر الله تعالى وأما المبيت الى الصباح فهو سنة كما بينا في المناسك نزلت مع السيد الزواوي بفناء مسجد المزدلفة فصلبت هنالك المغرب والعشاء قصرا وجمعا . والسيد لا يقصر في عرفة ومزدلفة ولا يجمع لانه مكى شافعي ، والشافعية لا يجيزون القصر والجمع الا في السفر الطويل ، والحنفية يوجبون الجمع في المزدلفة لاجل النك ، والتحقيق عند أهل الحديث ان القصر عزيمة والجمع رخصة في كل سفر طويل أو قصر ، وان الجمع في المشاعر أفضل للتابع ، وناهيك باتباعه صلى الله عليه وآله وسلم في أعمال حجة الوداع ، التي علم فيها الالوف المناسك وغير المناسك ، وأمر أن يبلغ الشاهد منهم الغائب .

قال الحافظ ابن المنذر : أجمع أهل العلم على ان الامام يجمع بين الظهر والعصر بعرفة وكذلك من صلى مع الامام ، وذكر أصحاب الشافعي انه لا يجوز الجمع الا لمن بينه وبين وطنه ستة عشر فرسخا إلخا له بالقصر (قل) وليس بصحيح فان النبي (ص) جمع فجمع معه من حضره من المبكين وغيرهم ، ولم يأمرهم بترك الجمع

كما أمرهم بترك القصر فقال « أتموا فانا سفر »^(١) ولو حرم الجمع لبيته لهم اذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة . قال ولم يبلغنا عن أحد من المتقدمين خلاف في الجمع بعرفة والمزدلفة بل وافق عليه من لا يرى الجمع في غيره اهـ

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في مناسك الحج بعد ان ذكر صلاة النبي (ص) الظهر والعصر جمع تقديم بطن عرنة في حدود عرفة وخطبته هناك مانصه : وبصلي بعرفة والمزدلفة ومنى قصرا ، ويقصر أهل مكة وغير أهل مكة وكذلك يجمعون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى كما كان أهل مكة يفعلون خلف النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) ولم يأمر النبي (ص) ولا خلفاؤه أحدا من أهل مكة أن يتموا الصلاة ولا قالوا لهم بعرفة ومزدلفة ومنى « أتموا صلاتكم فانا قوم سفر » ومن حكى ذلك عنهم فقد أخطأ . ولكن المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في غزوة الفتح لما صلى بهم بمكة . وأما في حجه فانه لم ينزل بمكة ولكن كان نازلا خارج مكة وهناك كان يصلي بأصحابه ثم لما خرج الى منى وعرفة خرج معه أهل مكة وغيرهم ، ولما رجع من عرفة رجعوا معه ، ولما صلى بمنى أيام منى صلوا معه ولم يقل لهم أتموا صلاتكم فانا قوم سفر^(١) ولم يحدد النبي صلى الله عليه وسلم السفر لا بمسافة ولا بزمان ، ولم يكن بمنى أحدا كنا في زمنه ولهذا قال « منى مناخ من سبق » ولكن قيل انها سكنت في خلافة عثمان وانه بسبب ذلك أتم عثمان الصلاة لانه كان يرى ان المسافر من يحمل الزاد والمزاد اهـ

وذكر المحقق ابن القيم في الهدى النبوي مثل ما تقدم عن المناسك مختصرا وزاد انه ليس على المسافر جمعة لان النبي (ص) لم يصلها يوم عرفة ولا في سفر آخر . وأقول ان عدم أمر النبي (ص) لأهل مكة بالانتماء في منى وما بعدها ينطبق على حديث أنس « كان رسول الله (ص) اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » رواه أحمد ومسلم وأبو داود وصرحوا ان الشاك في الاميال والفراسخ شعبة لا أنس . وقال الحافظ في الفتح ان هذا أصح حديث وأصرحه في المسألة مكث السيد الزواوي معي قليلا في المزدلفة ثم ذهب الى منى وأوصى الخادم

(١) السفر بفتح السين وسكون الهمزة جماعة الساهرين كالشرب جماعة الشاربين

باحضار ذاتي في الصباح فتمت ساعات واستيقظت في وقت السحر. وقد سخر الله تعالى لي رفاقا من خير الناس بتبحورهم وقد عرف الزواوي منهم رجلا مكيًا اسمه الشيخ علي مؤمنة، فلما استيقظت وجدتهم أيقاظا فطلبت منهم ماء فتوضأت وصليت الوتر إحدى عشرة ركعة فلما أتممت صلاتي وجدتهم قد أحضروا الشاي وخصني كبيرهم بإبريق نظيف من نوع جيد منه وقدم لي معه صحنا فيه لوز مقشور وصحنا فيه هشة من الكعك المعروف بالقرقيش فأصبت من ذلك كله شاكرا لهم. وطفق كبيرهم بسألني أسئلة في السنة والاتباع والابتداع واختلاف العلماء والبصوفية ويتلقى أجوبتي عنها بالقبول مسرورا بما جليتها به من الشرح والتفصيل. وهذا الرجل بخاري الأصل يعرف العربية وكنت توهمت انه داغستاني وقد ساح في كثير من البلاد، وقد فهمت انه جاور في مكة المكرمة وأنه يخرج كل سنة منها الى عرفة ببعض أصحابه في الموسم مشاة ويعودون مشاة. وقد اختلف العلماء في أي الأمرين أفضل في المناسك المشي أم الركوب ف قيل المشي لانه أقرب الى التواضع وأعون على الدعاء، وقيل بل الركوب تأسيا بالنبي (ص) فانه لم يفعل الا الأفضل والا كل، ويمكن أن يقال ان الأفضل لاهل الآفاق وللضعفاء من أهل مكة الركوب وأن الأقوياء من القيمين بمكة قد يكون المشي أفضل لهم من عدة وجوه منها مشاركة أهل الآفاق ببعض مشقة السفر وان ذلك لا ينافي بالاتباع

وقد سألت السيد الزواوي عن هذا الشيخ وعن رفيقه الخاص الشيخ علي مؤمنة وكلفته بعد عودتي أن يسأل عنهما فكتب الي إن الثاني نشأ من صغره محبا للعزلة والبعد عن كبراء الدنيا وهو على الدوام يخدم العلماء وأهل الطريق من الغرباء ومنهم الشيخ حسام الدين البخاري صاحبكم في المزدلفة: ويقول تلميذه الشيخ علي مؤمنة انه أقام في مصر مدة طويلة وخرج منها في العام الماضي مأمورا عليه (كذا) بالوصول الى مكة والاقامة بها هذا العام وهو الآن موجود في أحد اربطة البخارية بحارة جباد لا يخالط أحدا، لا يعرف ولا يعرف، مواظبا على الجمعة والجماعة كتلميذه الشيخ علي ولما طلع الفجر صلينا مع الجماعة ثم ذهبنا حول المسجد نجتمع الحصار لرمي الجمار فلما جهناها ركبت ذاتي وسرت وسار أصحابي مشاة قاصدين مي

[المنار: ج ٥ م ٢٠] الأفاضة الى منى ورمي جرة العقبة ٢٤٥

﴿ الأفاضة الى منى ورمي جرة العقبة ﴾

أفضنا من مزدلفة ملين مكبرين قبل طلوع الشمس عملا بالسنة، ومخالفة لما كان عليه عمل الجاهلية من تأخير الأفاضة منها الى طلوعها . ومن السنة المبينة على سبب تاريخي هنالك الاسراع المعتدل في السير في بطن محسر لا فرق في ذلك من الماشي والراكب . وتقدم ان بطن محسر بتشديد الباء المكسورة هو الوادي الفاصل بين منى ومزدلفة . قال بعض العلماء ان حكمة الايضاع فيه ان أهل الجاهلية كانوا يقفون فيه ويزكرون مفاخر آبائهم ، ففي الاسراع فيه إظهار البراءة من ذلك . وقال بعضهم ان هذا المكان هو الذي أهلك الله تعالى فيه أصحاب الفيل الذين جاؤا من طريق اليمن لهدم بيته المحرم فاستحب الاسراع في الخروج منه لانه كان موضع سخط الله تعالى وعذابه لاوائك الظالمين المعتدين ، ويستحب مثل ذلك في كل مكان مثله كديار نمود

ولما وصلنا الى منى قصدنا الجرة الكبرى جرة العقبة وكانت الشمس قد ارتفعت فرميناها بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة . وفي مثل هذا الوقت رماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم راكبا ، وقد صح انه (ص) جعل البيت عن يمينه ومنى عن يساره ورمى . وانه كان يكبر مع كل حصاة ، وانه قل : « اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً » وبعد الرمي جشت الدار المدة لتزولنا فيها فاذا هي من أعظم دور منى حسنا وسعة وهي اصدقنا الشيخ محمد نصيف ، فرأيت السيدتين في قسم النساء منها ، والرفيقين في قسم الرجال ، والجميع كما أحب ، وأعطيت لوكيل الخرج دراهم ووكلته بشراء النسك والذبح غني . وقد قصصت قليلا من شعر رأسي بيدي ، ولم يتيسر لي الا تيان بحلاق الى الدار لاني أريد الأفاضة الى مكة لاجل طواف الركن . وفي حديث أنس عند مسلم انه (ص) أتى منى فأتى الجرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قل للحلاق « خذ » وأشار الى جانبه الايمن ثم الابسر ثم جعل يعطيه الناس ومنى شرع الحاج في رمي جرة العقبة مكبرا تنقطع التلبية التي هي شعار الحج . ويستبدل بها التكبير الذي هو ذكر الله في العيد ، ومنى رماها وحلق شعر رأسه أو قصره حل له . كل ما كان محرما في النسك الا ملامسة النساء فانها لا تحل الا بالتحلل الاخير بطواف الأفاضة .

الحرب والصلح

عقدت الهدنة بين الروس وأعدائهم وألف الفريقان لجنة من مندوبي كل دولة منهما للبحث في شروط عقد الصلح، وفي عدد جريدة الاهرام الذي صدر في ١١ ربيع الاول ان وزير خارجية لالمان الذي رأس الجلسة الاولى جعل الفرض من الاجتماع اعادة الصلات الاقتصادية والادبية الى ما كانت عليه قبل الحرب . وان الوزير الروسي (كامنف) تلا برنامج حكومة الروس المعروف الذي تقترح جعله أساسا للصلح العام : وخلاصته ان يكون الصلح بلا ضم ولا غرامة . وان يعطى كل شعب تحكمه أمة أخرى الحرية والاستقلال اما بالاعتماد على رأيه بعد سحب القوة الفاصلة من بلاده . واما بالاعتماد على الرأي الذي أظهرته صحافته ذلك الشعب وجمعياته . وتعد حكومة روسية مواصلة القتل لتقتسم الشعوب الغنية لشعوب الصغيرة الفقيرة جريمة لا تغفر » ثم قالت الاهرام : « وقد جاءنا اليوم بيان أتم عن مطالب الروس (١) العدول عن كل ضم وفتح بالقوة (٢) اعادة استقلال البلاد التي اجتاحت (٣) منح كل نصر الحق بان يختار الحكم الذي يريد (٤) تفادي عن ضرب الغرامة الحربية وتقرير التعويض على الافراد (٥) انشاء صندوق دولي من أموال الجميع لدفع التعويضات » ثم ذكرت أمرا ثالثا أعلن في الجلسة وهو « رغبة الالمان بان يشترك جميع المتحاربين بمفاوضات الصلح حتى تقررت دعوة مندوبي فرنسا وانكلترا وإيطاليا والولايات المتحدة الى المفاوضات »

ومن الناس من يرتاب في اخلاص الدولة لالمانية في اظهار ارتياحها الى دخول جميع الحلفاء في مؤتمر الصلح ولا يرتابون في اخلاص لنمسة ، ويرى هؤلاء ان ايعاز الاولى الى حكومة [البواتفليك] الروسية التي لم يعترف بها الحلفاء بأن تدعوم الى الاشتراك معها في مفاوضات هذا الصلح في بلادها براد به اضطرار الحلفاء الى الإبقاء والرفض ويؤيد ذلك ما قاله السنيور [أورلندو] رئيس وزارة ايطالية في خطابه بمجلس الشيوخ وهو : « انه قد حان الوقت لكشف الغطاء عن الأعيب دولي الوسط اللتين تبدلان كل وسيلة لشد عزائم شعوبهما وتسويد صفحة خصومهما

بإدعائهما أنهما تريدان الصلح وأن الحلفاء يرفضونه . فالحلفاء هم الذين يريدون الصلح وهم وحدهم يريدونه ولاكنهم يريدونه على شكله الممكن أن يجعله صلحا عادلا شريفا دائما باتفاقات جليلة صادقة . أما امبرطوريتنا الوسط فأنهما تتبعان خطة غريبة تطلبان بها من الحلفاء أن يعودوا الى مواسلتهم على يد حكومة لم يعترف بها الحلفاء لأنها حكومة وقتية الى أن تجتمع الجمعية الدستورية ولأن شطرا كبيرا من روسيا لم يعترف بها .

« هذا من حيث الشكل وأما من وجهة الجوهر في مقترح الصلح فان مندوب البولشفيك يظن أن باستطاعته أن يقول ان الشرطين الاولين من مقترحات الصلح مقبولان وهما أولا - اعادة الممالك التي فقدت استقلالها من جراء الحرب وثانيا - الجلاء عن الاراضي التي احتلت مع العدول عن الضم وانكم ترون ان في هذا القول ضللا ففي الحقيقة ان الشرط الثالث المتعلق بالشعوب الخاضعة لأمم ليست منها لم يقبله الالمان والنمسيون . (وضرب لذلك مثل أممهم القومية والالزاس واللورين)

« ثم رغب الخطيب في بيان ضرر العودة الى الحالة القديمة لانه ليس في هذا القول ضمانا اذا ما قبل الشرطان اللذان قال بهما البولشفيك أولا لان امبرطوريتي الوسط أعلنتا أنهما لا تنويان نزلة الاستقلال السياسي من البلاد التي تحتلتها فلفظة « الاستقلال السياسي » لا تنفي الاعتداء على الاستقلال الآخر كلاستقلال الاقتصاد مثلا . ولأنها لا تتضمن أيضا عودة المملكة المستقلة الى جميع أراضيها كاملة . أضف الى ما تقدم ان لفظة « استقلال الشعوب » هي لفظة مبهمه لا تنزيل الشكوك وما تضمنه دولتا الوسط من المطامع فأنهما تقولان انهما لا تريدان ضما بالقوة ومعنى ذلك انهما تنويان ضما بغير القوة . فتنى ان يمكن أن يوصف الضم بالقوة ؟ فالجواب على ذلك ان الامر معلق على وجود القوة وعلى شكل الخيار الذي يعرض على الشعوب الموجودة تحت نبر الغازي أضف الى هذا هل يعتبر الضم ضما عند مالا يمكن ذكر الضم بالقوة في المعاهدات الدولية . فإبصيرة التي تعرضها دولتا الوسط صيغة مبهمه تتحمل الريب والشكوك وتدلنا على اننا لانزال بعيدين جدا عن المبدأ الاول الذي ينبغي كل ضم » اه المراد منه نقلا عن عدد ٤ يناير من الاهرام

وقد كانت البرقيات المنشورة بهذا التاريخ ان مفاوضات الصلح أوقفت لان

ألمانية تزعم أن شعوب الولايات أو الممالك الأربع التي انتزعتها من الروسية - وهي البولندية والكورلندية والتوانية والاستونية - قد جهرت برغبتها في الانضمام الى ألمانيا فيجب أن تكون ألمانية ، وان الروس ينكرون عليها ذلك وان وزير خارجيتهم تروتسكي خطب في الجمعية المركزية لحزب العمال والحد من فأنكر ذلك أشد الانكار لان اظهار الشعب الرغبة في مسألة الحكم لا يكون صحيحاً مع وجود الاحتلال الاجنبي والقوة العسكرية . وفي برقية لروتر من لندن وردت في ٢ يناير ان اللجنة أقرت الوزير الخطيب على خطابه ووضعت قرارا بفحواه قالت في آخره

« فنحن ندافع عما لبولندا ولتوانيا وكورلندا من الحق في بت مصيرها والحكم في مستقبلها بنام الحرية ونقول لشعوب النمسا والمانيا وبلغاريا وتركيا اذ كروا ان التعجيل في عقد صلح ديمقراطي يتوقف عليكم فقد سالت دماؤكم وأصابكم الإعياء والجهد في حرب عديمة المثل فلا تسمحوا لدعة السلطة والفتح من النمساويين والالمان أن يحاربوا روسية الثورية لإخضاع بولندا ولتوانيا وكورلندا وأرمينية »

(المنار) قد سبقنا في الجزء الاول من هذا المجلد مثل ماقررت الروسية ورئيس الوزارة الايطالية اليوم في مسألة حرية الشعوب واختيارها لسل الحكومه الذي ترضاه نفسها . وبيننا في الجزء الرابع - الذي قبل هذا - أهم مايشترط الحلفاء للصالح . وبعد كتابة ماتقدم واعداه للطبع جانا البرق بخطبة رئيس الوزراء البريطاني ثم بخطبة رئيس الولايات المتحدة وهما أصرح ما قلناه الحلفاء في أسباب الحرب وشروط الصالح وبعد ناسخنا لكل ما يخلفه سيد القول ما يقول الرئيس هـ وسبيلهما حقيقة غرض الحكومه الألمانية وهل هي تريد الصالح حقيقة فيما تتخذ من الوسائل الصورية له كما يقال ، أم تريد به ايقاع الشقاق بين أعدائها كما قال رئيس الحكومة الإيطالية ، أو إقامة الحجج عليهم بأنهم هم طلاب الحرب والفتح كما يظن كثير من الناس . ولعل هذه الصراحة من الحلفاء تضطرها الى التصريح بشروط الصالح التي ترضاه فانها لما تصرح بشيء لا طالب حرية البحار . ونسأل الله تعالى ان ينصر الحق والعدل وحرية الشعوب المستضعفة على الباطل والظلم قوة الاستبداد والاستعباد ويكشف عنها حجب الخداع والرياء . ان ربي سميع الدعاء .

(تنبيه) اضطررنا الى تأخير تمة ترجمة الشيخ سليم البشري